



جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف

المراة ودورها في الدولة الوطنية

إشراف وتقديم ومشاركة
أ.د / محمد مختار جمعة
وزير الأوقاف

١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا
تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾

(سورة هُود : ٨٨)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه
ورسوله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه
إلى يوم الدين .

وبعد :

فإن ديننا الحنيف قد أولى المرأة اهتمامًا خاصًا : أمًا ، وبتنا ،
وأختًا ، وزوجًا ، وخالة ، وعمة ، وأوصى بكل النساء خيرًا ،
وأنصف المرأة أيًا إنصاف ، وخلصها من أغلال الجاهلية وظلمها ،
حيث كان الأمر قد وصل بأهل الجاهلية إلى وأد بناتهم أحياء ، إذ
يقول الحق سبحانه : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ
مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ
أَيُّسِرُكُمْ عَلَيَّ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ .

لقد أكد الإسلام على مكانة المرأة أيًا تأكيد ، فهي صنو الرجل
وزوجه ، وعندما تحدث القرآن الكريم عن طرفي المعادلة في الجنس

البشري وهما الرجل والمرأة ، قال الحق سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ، فالرجل والمرأة من نفس واحدة في الخلقة ، وكل منهما زوج لصاحبه ومكمل له ، حيث يقول الحق سبحانه : ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ ، ويقول سبحانه : ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ، ويقول (عز وجل) : ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا﴾ ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) في خطبته الجامعة في حجة الوداع: " ألا إن لكم على نساءكم حقًا ، ولنساءكم عليكم حقًا" ، كل ذلك في تكافؤ لغوي يعادل التكافؤ المعنوي الذي تتضمنه كل هذه النصوص الكريمة .

ولم يبخس الإسلام أيًا من الطرفين حقه ، فقال سبحانه : ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ

أُنْتَى بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ﴿١﴾، وقال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، بل أكد نبينا (صلى الله عليه وسلم) على إكرام الأنثى وعدم الجور على أي من حقوقها، فقال (صلى الله عليه وسلم): "مَنْ كَانَتْ لَهُ أُنْتَى فَلَمْ يَتَّذِرْهَا ، وَلَمْ يُهِنِّهَا ، وَلَمْ يُؤَثِّرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ".

وقد خص الإسلام الأم بمزيد من الرعاية والتكريم ، حيث يقول الحق (عز وجل): ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾، وعندما سئل نبينا (صلى الله عليه وسلم) : من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال : "أمك"، قال : ثم من؟ قال: "أمك"، قال: ثم من؟ قال: "أمك"، قال: ثم من؟ قال: "أبوك".

وفي هذا الكتاب نتناول موضوع " المرأة ودورها في الدولة الوطنية"، حيث يضم مجموعة مختارة من الأبحاث التي قدمها نخبة

من العلماء الأجلاء لمؤتمري المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
"السابع عشر ، والثاني والثلاثين " ، مع نسبة كل بحث منها إلى
كاتبه بمنتهى الأمانة العلمية ، مع مشاركتي في هذا الكتاب بمبحث
خاص بعنوان: "نساء مصريات" ، يبرز بعض الجوانب لدور المرأة
المصرية تاريخياً في الحفاظ على الأسرة وحمايتها ، والإسهام في نهضة
وطنها ورقية ، سائلاً المولى (عز وجل) أن يتقبل هذا العمل ، وأن
يجزي كل من أسهم فيه ببحث أو جهد خير الجزاء.
والله من وراء القصد وهو الموفق والمستعان.

أ.د/ محمد مختار جمعة
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

المرأة بين إنصاف الإسلام وشبهات الآخر^(*)

الجنس البشري جنس مكرم على كثير من خلق الله (عز وجل) ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(١)، ولا شك أن هذا التكريم استوعب نوعي الجنس البشري ، فالرجل مكرم باعتباره إنساناً ، والمرأة مكرمة باعتبارها إنساناً كذلك ، ولقد كرم الله (عز وجل) المرأة ولم يظلمها فيما تستحقه من حقوق ، ولم يُحمّلها ما لا تطيق ؛ لأنه سبحانه خالقها وهو أعلم بما يناسبها من حقوق وما يتوافق معها من واجبات ، قال تعالى : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٢)، ففضية العدل والإنصاف مع المرأة أو الرجل ينبغي أن تكون متكاملة، فلا ينظر لها من جانب الحقوق فحسب ، بل يمتد النظر ليشمل

(*) أ.د/ علي جمعة ، مفتي جمهورية مصر العربية السابق .

(١) الإسراء ، الآية : ٧٠ .

(٢) الملك ، الآية : ١٤ .

جانب الواجبات ، يقول الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَدًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(١).

نصوص الشرع الحنيف تكرم المرأة:

تنقسم النصوص الشرعية التي كَرَّمَت المرأة وأعلت منزلتها إلى نوعين؛ الأول: النصوص التي ساوت بين الرجال والنساء في أصل التكليف والحقوق والواجبات ، والثاني: النصوص التي أوصت الرجال بالنساء ، وهي مرحلة أعلى من النوع الأول ؛ فالنوع الأول إقرار بحق المرأة ومساواتها للرجل في أصل التكليف ، أما النوع الثاني فهو توصية للرجال بالنساء مراعاة لضعف المرأة ورقة طبعها - فسبحان الله من حكيم عليم لطيف - وفيما يلي بيان ذلك:

١- المساواة بين الرجال والنساء في أصل التكليف:

ساوى الله جل جلاله بين الرجل والمرأة في الجزاء وأصل التكاليف الشرعية ، ولم يؤاخذ المرأة بذنب الرجل ، ولم يُحْمَلْها ذنب الرجل ، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا

(١) المؤمنون، الآية: ١١٥.

وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ
 الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ^(١)، وقال سبحانه: ﴿فَأَسْتَجَابَ
 لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ
 بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ^(٢)، وقال (عز وجل): ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِ
 الصَّالِحَاتِ مِ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ
 وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا^(٣)، وقال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ
 ذَكَرٍ أَوْ أُنْثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
 أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٤)، وقال (عز وجل):
 ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ
 مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرًا نَّصِيبًا
 مَّفْرُوضًا^(٥).

(١) غافر، الآية: ٤٠.

(٢) آل عمران، الآية: ١٩٥.

(٣) النساء، الآية: ١٢٤.

(٤) النحل، الآية: ٩٧.

(٥) النساء، الآية: ٧.

تصرح النصوص السابقة بأن المرأة كالرجل في أصل التكليف وأصل الحقوق والواجبات ، وأن الاختلاف الذي بينهما في ظاهر الحقوق والواجبات من قبيل الوظائف والخصائص ، فلا يسمى اختلاف الوظائف والخصائص انتقاصاً لنوع من جنس البشر أو تمييز نوع على آخر.

٢- توصية الرجال بالنساء:

لم يكتفِ الشرع الشريف بتلك النصوص التي تُوضِّح المساواة في أصل التكليف وأصل الحقوق والواجبات ، وإنما تعدَّى الأمر إلى التوصية بالمرأة ؛ وذلك لأن المرأة أضعف من الرجل واحتمال بغْي الرجل عليها وارد ، فأوصى الشرع الشريف بها في كتابه العزيز وفي سنة نبيه المصطفى ﷺ.

فمن الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١)، وقوله (عز وجل): ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا

(١) البقرة، الآية: ٢٢٨.

كثيراً ﴿^(١)﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُسِجِّ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ ^(٢)، وقوله سبحانه: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ ^(٣)، وقوله تعالى: ﴿فَاتَّوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ ^(٤)، وقوله (عز وجل): ﴿وَأَتَوْهُنَّ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ ^(٥)، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ ^(٦)، وقوله سبحانه: ﴿يَنَاءُيْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا

(١) النِّسَاء، الآية: ١٩.

(٢) البَقَرَة، الآية: ٢٣٦.

(٣) الطَّلَاق، الآية: ٦.

(٤) النِّسَاء، الآية: ٢٤.

(٥) النُّور، الآية: ٣٣.

(٦) النِّسَاء، الآية: ٣٤.

ءَاتَيْتُمُوهُنَّ ﴿١﴾، وقوله (عز وجل): ﴿فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾ (٢).
 ومن السنة النبوية الغراء ما أخبر به المصطفى ﷺ إجابة لسؤال سأله أحد أصحابه (رضي الله عنهم) حيث قال للنبي ﷺ: من أحب الناس إليك؟ قال: "عائشة" (٣) (رضي الله عنها)، وكذلك في رواية أخرى إجابة منه ﷺ عن نفس السؤال قال: "فاطمة" (٤) (رضي الله عنها)، ففي هذين الخبرين إشارة إلى تكريم المرأة باعتبارها زوجًا وباعتبارها ابنة، بل كان من كمال خلقه ﷺ أن يصل بالهدايا صديقات زوجته خديجة (رضي الله عنها)، فعن أنس (رضي الله عنه) قال: كان النبي ﷺ إذا أتى بالهدية قال: " اذْهَبُوا بِهِ إِلَى فُلَانَةَ فَإِنَّهَا كَانَتْ صَدِيقَةً لِحَدِيحَةَ " (٥).

(١) النَّسَاء، الآية: ١٩ .

(٢) الْبَقَرَةَ، الآية: ٢٢٩ .

(٣) سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب من فضل عائشة (رضي الله عنها)، حديث رقم: ٣٨٨٥ .

(٤) المستدرک للحاکم، کتاب معرفة الصحابة، باب مناقب زيد، حديث رقم: ٤٩٥٧ .

(٥) المعجم الكبير للطبراني، ١٢ / ٢٣، ومسنند البزار، حديث رقم: ٦٨٦٨ .

وقال ﷺ: " اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا"^(١)، بما يشير إلى الاهتمام بأمر النساء عامة ، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: " لَا يَفْرُكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً ، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ"^(٢)، وقال ﷺ: "إِنَّ النِّسَاءَ شَقَائِقُ الرِّجَالِ"^(٣)، بل اعتبر النبي ﷺ مقياس أفضلية الرجال بحسن معاملة المرأة ، والزوجة بصفة خاصة ، فقال ﷺ: " خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي"^(٤)، وفي دعوة من النبي ﷺ لحسن معاملة الزوجة بالإنفاق والسلوك يقول ﷺ: " مهما أنفقت فهو لك صدقة حتى اللقمة ترفعها

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب النكاح، باب الوصاية بالنساء ، حديث رقم: ٥١٨٦، وصحيح مسلم ، كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء ، حديث رقم: ١٤٦٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، حديث رقم: ١٤٦٩.

(٣) سنن الترمذي، أبواب الطهارة، باب فيمن يستيقظ فيرى بللاً، حديث رقم: ١١٣.

(٤) سنن الترمذي ، أبواب المناقب ، باب في فضل أزواج النبي ﷺ حديث رقم : ٣٨٩٥.

في في امرأتك" (١).

ميراث المرأة بين الحقائق والافتراءات:

لم يفرق الإسلام في الموارث بين نصيب الرجل والمرأة ، بل إن اختلاف الأنصبة في توزيع الموارث ليس الأصل فيه اختلاف النوع من ذكر وأنثى وإنما تختلف الأنصبة طبقاً لثلاثة معايير هي:

١- درجة القرابة بين الوارث والموروث: فكلمة اقتربت الصلة زاد النصيب في الميراث ، وكلمة ابتعدت الصلة قل النصيب في الميراث دونما اعتبار لجنس الوارثين.

٢- موقع الجيل الوارث: فالأجيال التي تستقبل الحياة وتستعد لتحمل أعبائها يكون نصيبها في الميراث أكبر من نصيب الأجيال التي تستدبر الحياة وتتخفف من أعبائها ، وذلك بصرف النظر عن الذكورة والأنوثة للوارثين والوارثات.

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، حديث رقم: ٥٣٥٤، وصحيح مسلم، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، حديث رقم: ١٦٢٨.

٣- العبد المالي: وهذا هو المعيار الوحيد الذي يثمر تفاوتاً بين الذكر والأنثى ، لكنه تفاوت لا يفضي إلى أي ظلم للأنثى أو انتقاص من إنصافها ، مثل أولاد المتوفى ذكوراً وإناثاً يكون تفاوت العبد المالي هو السبب في التفاوت في أنصبة الميراث ؛ حيث إن الذكر الوارث مكلف بإعالة الأنثى وكذا الأطفال ، بينما الأنثى الوارثة إعالتها مع أولادها فريضة على الذكر المقترن بها ، وميراثها مع إعفائها من الإنفاق هو ذمة مالية خالصة ومدخرة ، لجبر الاستضعاف الأنثوي ، ولتأمين حياتها ضد المخاطر والتقلبات، وتلك حكمة إلهية قد تخفى على الكثيرين.

وبهذا الاعتبار نجد أن الإسلام أعطى المرأة نصف الرجل في الدخل الوارد، وكفل لها الاحتفاظ بهذا الدخل لا تُخرج منه سوى حق الله تعالى ؛ كالزكاة ، أما الرجل فأعطاه الله الدخل الأكبر وطلب منه أن ينفق على زوجته وأبنائه والديه إن كبرا في السن ، ومن تلزمه نفقتهم من قريب وخادم ، وما استحدث في عصرنا هذا من الإيجارات والفواتير المختلفة ، ولذلك حينما تتخلف قضية العبد المالي كما هو

الحال في شأن توريث الإخوة والأخوات لأم ؛ نجد أن الشارع الحكيم قد سوى بين نصيب الذكر ونصيب الأنثى منهم في الميراث ، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَهِيَ آخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَجِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾^(١)، فالنسوية هنا بين الذكور والإناث في الميراث ؛ لأن أصل توريثهم هنا الرحم ، وليسوا عصبية لمورثهم حتى يكون الرجل امتداداً له من دون المرأة ، فليست هناك مسؤوليات ولا أعباء تقع على كاهله بهذا الاعتبار.

شهادة المرأة في التشريع الإسلامي وانفrazات الآخر:

يجب أن نعلم أن الشهادة تكليف ومسئولية ، وأن الشروط التي تراعى في الشهادة ليست عائدة إلى وصف الذكورة والأنوثة في الشاهد ، ولكنها عائدة إلى أمرين:
الأول: عدالة الشاهد وضبطه.

الثاني: أن تكون بين الشاهد والواقعة التي يشهد بها صلة تجعله مؤهلاً للدراية بها والشهادة فيها.

(١) النساء ، الآية : ١٢ .

ومن المعلوم أنه إذا ثبت لدى القاضي اتصاف الشاهد بركة
المشاعر والعاطفة بما يقوم دليلاً على أن صلته بهذه المسائل والأحداث
وقدرته على معاينتها ضعيفة أو معدومة ، وأن أهليته للشهادة على
تلك المسائل مفقودة ؛ فإن شهادته لديه تصبح غير مقبولة .
ومن الحقائق التي يجب أن نعلمها في قضية الشهادة ما يلي :
- شهادة المرأة وحدها تُقبَل في هلال رمضان شأنها شأن الرجل .
- شهادة المرأة تستوي بشهادة الرجل في الملاعة .
- شهادة المرأة تُقبَل في الأمور الخاصة بالنساء ، قال ابن قدامة في
المغني : وتُقبَل فيما لا يطلع عليه الرجال ، مثل : الرضاعة ، والولادة ،
والحيض ، والعدة ، وما أشبهها ؛ شهادة امرأة عدل ، ولا نعلم بين
أهل العلم خلافاً في قبول شهادة النساء المنفردات في الجملة ، ويوضح
الحكم فيقول : تقبل شهادة النساء منفردات في خمسة أشياء :
١- الولادة . ٢- الاستهلال . ٣- الرضاع . ٤- العيوب التي تحت الثوب
كالرتق ، والقرن ، والبكارة ، والثيوبية ، والبرص . ٥- انقضاء العدة^(١) .

(١) المغني لابن قدامة ، ١٠ / ١٣٦ - ١٣٧ .

- شهادة المرأة الواحدة تُقبَل في كل موضع تُقبَل فيه شهادة النساء المنفردات ، قال ابن قدامة : وكل موضع تُقبَل فيه شهادة النساء المنفردات فإنه تُقبَل فيه شهادة المرأة الواحدة^(١).

- شهادة المرأة تُقدّم أحياناً على شهادة الرجل ، حيث يثبت خيار الفسخ لكل واحد من الزوجين لعيب قد يجده في صاحبه ، وإن اختلفا في عيوب النساء أريت النساء الثقاث ، ويقبل فيه قول امرأة واحدة ، فإن شهدت بما قال الزوج وإلا فالقول قول المرأة.

- رواية المرأة الواحدة قُبِلت في الحديث ، فالحديث النبوي الذي روته لنا امرأة عن رسول الله ﷺ له حجية الحديث نفسه الذي يرويه رجل ، ولم يرد أحد رواية امرأة لحديث عن رسول الله ﷺ لمجرد أنها امرأة ، ومعلوم أن نقل الدين وما فيه من تشريع أخطر من الشهادة في حكم قضائي.

تعدد الزوجات:

من باب تصحيح المفاهيم وإرساء الحقائق ، يجب علينا أن نعلم

(١) المغني لابن قدامة ، ١٠ / ١٣٧.

أن الإسلام جاء بالحد من تعدد الزوجات ^(١)، ولم يأت بتعدد الزوجات كما يظن الآخرون ، كما أنه لم يرد أمر لمن تزوج واحدة بأن يتزوج أخرى ؛ وذلك لأن تعدد الزوجات ليس مقصوداً لذاته ، فلم يرد تعدد الزوجات في القرآن الكريم بمعزل عن أسبابه ، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَتِلْكَ وَرُبُعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ ^(٢).

فالذين فسروا الآية الكريمة أو درسوها كنظام إنساني اجتماعي يفسرونها بمعزل عن السبب الرئيس الذي أنزلت لأجله ؛ وهو وجود اليتامى والأرامل ؛ إذ إن التعدد ورد مقروناً باليتامى ، حيث قاموا بانتزاع قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ ، دون القول السابق

(١) انظر: سنن الترمذي ، أبواب النكاح ، باب ما جاء في الرجل يسلم وعنده عشر نسوة ، حديث رقم: ١١٢٨ ، وسنن ابن ماجه ، كتاب النكاح ، باب الرجل يسلم وعنده أكثر من أربع نسوة ، حديث رقم: ١٩٥٣ .

(٢) النساء، الآية : ٣ .

والذي صيغ بأسلوب الشرط: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي
الْيَتَامَى﴾، وكذلك دون القول اللاحق والذي يقيد تلك
الإباحة بالعدل حيث قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا
فَوَاحِدَةً﴾، كما أن النظر للمرأة التي يتزوج الرجل عليها
وحدها ليس إنصافاً، فإن الذي سوف يتزوجها الرجل هي
امرأة كذلك ، وقد كرمها الشرع وراعى ما قد تحتاجه من
وجود رجل بجانبها، وفي ذلك علاج ناجع لما قد يعانيه المجتمع
من مشكلات اجتماعية واقتصادية.

فمن ذهب إلى القرآن الكريم واستقرأ آياته أو إلى السنة
النبوية المطهرة لا يجد دعوة مفتوحة صريحة للتعدد وإنما سيجد
تلك القيود والضوابط الحاكمة التي أشرنا إليها ، وسيجد أن
الإسلام قد نهى عن التعدد الذي كان سائداً وعن الجمع بين أكثر
من أربع نساء ، وشتان بين أن يكون الإسلام أمر بالتعدد حتى
أربع نساء، وبين أن يكون نهى عن الجمع بين أكثر من أربع نساء
تكريماً للمرأة .

* * *

تكريم الإسلام للمرأة (*)

انبثق نور الإسلام في الجزيرة العربية أخرج الناس جميعاً من الظلمات إلى النور، ونقل المرأة من حالة القهر والنفى والوآد إلى حالة الوجود والإنصاف والمشاركة ، وحفلت سور القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ بنصوص قاطعة في الدلالة على تكريم المرأة وتقرير حقوقها المناظرة لحقوق الرجل .

لقد حقق الإسلام للمرأة نقلة نوعية إنسانية ، واجتماعية ، ونفسية ، واقتصادية ، وحضارية غير مسبوقة ، وما احتواه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من التشريعات النسائية والعائلية إنما يهدف إلى تبديل ما كانت تلقاه المرأة من حيف وإرهاق ونكران ، وفي القرآن الكريم آيات عديدة تحكي ما كان لولادة البنات من كراهية، وتندد بالكفار لنسبتهم البنات إلى الله بينما المفضل عندهم البنون، وتذكر وأدهم البنات ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ أَلْبَنَاتٍ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ

(*) الأستاذة الدكتور / سعاد إبراهيم صالح ، الأستاذة بجامعة الأزهر .

ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوِّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا
 بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا
 يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ
 مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوِّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٧٧﴾ أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ
 فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿٧٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ
 إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿٧٩﴾^(٢).

إنصاف الإسلام للمرأة:

تتلخص المبادئ الإصلاحية التي جاء بها الإسلام فيما يتعلق بالمرأة

في مبدأين أساسيين هما:

١ - أخوة النسب: فالمرأة أخت الرجل إذ تنسب وإياه إلى أب

واحد وأم واحدة، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ

ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ

عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣١﴾^(٣).

(١) النحل، الآيات: ٥٧ - ٥٩.

(٢) الزخرف، الآيات: ١٧ - ١٩.

(٣) الحجرات، الآية: ١٣.

٢- المساواة بين المرأة والرجل في الإنسانية: وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(١).

ووفقاً لهذين المبدأين ساوت الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة بين المرأة والرجل في أصل الخلقة، وفي الكرامة الإنسانية، وفي حق الوجود، بكل ما يترتب على ذلك من حقوق، وأهلية دينية، ومدنية، وحقوقية، واقتصادية، واجتماعية، وسياسية، واعتبرت صلاح المجتمع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسئولية تضامنية بين النساء والرجال، وجعلت معيار التفضيل النهائي هو تقوى الله.

وهذا لم يمنع من وجود بعض الأحكام التكليفية الخاصة بالرجال وبعض الأحكام التكليفية الخاصة بالنساء، وقد وضع الشارع الحكيم

(١) النساء، الآية: ١.

قاعدة قوينة لميزان توزيع هذه الأعمال والتكاليف بين الرجل والمرأة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا أَكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(١)، حيث إن هذا التوزيع مبني على قاعدة مهمة في الشريعة، وهي عدم تكليف ما لا يطاق، إعمالاً لقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(٢)، ووسع الإنسان: ما لا حرج فيه عليه ولا عسر.

مجالات أهلية المرأة:

قرر الإسلام للمرأة أهلية تامة وحقاً كاملاً في جميع التصرفات المدنية والاقتصادية والشخصية، إذ جعل لها الحق والأهلية لحيازة المال مهما عظم مقداره، والإرث، والهبة، والوصية، والدين، والتملك، والتكسب، والتعاقد، والمصالحة، والتقاضي، والتصرف فيما تحوز وتملك، وشرط موافقتها على الزواج، وعدم الحق لوليها بتزويجها بمن لا تريد أو دون رضاها، وإناطة عودتها

(١) النساء، الآية: ٣٢.

(٢) البقرة، الآية: ٢٨٦.

إلى زوجها الذي طلقها بموافقتها ورضاها وقناعتها، وفداء نفسها بالخلع، وعدم منعها من العودة إلى زوجها الذي طلقها (العضل)، وغير ذلك مما لم تصل إليه المرأة في أي حضارة من الحضارات.

أهلية المرأة للتدين:

في تقرير أهلية المرأة للتدين وتلقي التكليف الشرعية نوديت المرأة بتكاليف تقوى الله باعتبار خصوصية الإنسانية فيها، أي أن إنسانيتها هي التأهيل الروحي والعقلي لهذا التكليف، وهي في ذلك مثل الرجل، والذي يقرر ذلك ويؤكد أنه الله تعالى أشرك حواء مع آدم - عليهما السلام - فيما خاطبه به وأمره ونهاه، فحين أمره أن يسكن الجنة ونهاه عن أن يأكل من الشجرة وجه إليهما الخطاب معاً: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾^(١)، وحين أنكر سبحانه ما كان من مخالفة أمره وجه الإنكار إليهما معاً: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾^(٢).

(١) البقرة، الآية: ٣٥.

(٢) الأعراف، الآية: ٢٢.

وتأكيدًا لمساواتها للرجل في الأهلية الدينية جعلت مستقلة عنه
فيها كل الاستقلال ، فلكل منها مسئوليته الخاصة عن نفسه عند الله
(عز وجل) حيث لا تغني نفس عن نفس شيئاً ، يدل على ذلك قوله
تعالى: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ
ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ
دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(١)، وقد
أوضحت سورة الممتحنة ما كان للنساء من بيعة خاصة بهن دون بيعة
الرجال؛ لتدخل كل منهن الإسلام من باب غير باب زوجها أو أبيها،
وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ
عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ
أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا
يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ﴾^(٢).

(١) آل عمران، الآية: ١٩٥ .

(٢) الممتحنة، الآية: ١٢ .

الأهلية الاقتصادية:

المرأة مؤهلة للتصرفات المالية والاقتصادية من حيث جواز التملك والتصرف بالهبة والوصية والبيع والإجارة وغير ذلك بما لديها من عقل ومواهب روحية، ولاستوائها مع الرجل في تحمل أمانة التكليف التي عبر الله سبحانه وتعالى عنها بقوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(١).

وقد قرر الإسلام للمرأة نصيباً من اكتسابها كالرجل سواء بسواء ، ومن الطبيعي أن الاكتساب يترتب عليه التملك ، وبالتالي جواز التصرف ، قال تعالى : ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾^(٢)، كما قرر لها حق التملك بالميراث بعد أن كانت محرومة منه في الجاهلية ، وتقرر ذلك بقوله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ

(١) الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٢) النساء، الآية: ٣٢.

نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا^(١).

ولم يكن للمرأة في الجاهلية حق في المهر الذي يدفعه زوجها؛ بل كان حقاً لأبيها أو أخيها ، أو نحوهما من الأولياء ، فقرر لها الإسلام هذا الحق في قول الله (عز وجل) : ﴿وَعَاثُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً^(٢)﴾.

الأهلية الاجتماعية:

خاطب الله تعالى النساء بالإيمان والمعرفة والأعمال الصالحة في العبادات والمعاملات كما خاطب الرجال ، وجعل لهن عليهم مثل ما جعل لهم عليهن ، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ^(٣)﴾، وبايع النبي ﷺ المؤمنات كما بايع المؤمنين ، وأمرهن بتعلم الكتاب والحكمة كما أمرهم الله (عز وجل)، قال تعالى:

(١) النساء، الآية: ٧.

(٢) النساء، الآية: ٤.

(٣) البقرة، الآية: ٢٢٨.

﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُغْتَلَىٰ فِي بُيُوتِكُمْ مِّنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾^(١)،
وأجمعت الأمة على ما قرره الكتاب والسنة من أنهن مجزيات على
أعمالهن في الدنيا والآخرة، وأمرهن الله (عز وجل) بالعلم والسؤال
كما أمر الرجال ، قال سبحانه: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا
تَعْلَمُونَ﴾^(٢) ، وقال النبي ﷺ: " طلب العلم فريضة على كل
مسلم"^(٣).

حقوق المرأة في إطار الأسرة:

رتب الإسلام للمرأة حقوقاً داخل الأسرة، منها: حق اختيار
شريك الحياة ، وحق الصداق والمهر ، قال تعالى: ﴿وَعَاثُوا النِّسَاءَ
صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا
مَّرِيئًا﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَّا وَّرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا

(١) الأحزاب، الآية: ٣٤.

(٢) النحل، الآية: ٤٣.

(٣) سنن ابن ماجه، افتتاح الكتاب، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث

رقم: ٢٢٤.

(٤) النساء، الآية: ٤.

بِأَمْوَالِكُمْ تُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْلِفِينَ^١ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً^(١)، وحق المعاشرة بالمعروف.

حق المرأة في الطلاق:

أعطت الشريعة الإسلامية المرأة حق الالتجاء إلى القضاء ليفرق بينها وبين زوجها في الحالات التي لا تستقيم فيها أمور الزوجية، كالنفريق بسبب العيوب والأمراض التي لا يحصل بها مقصود الزواج، أو لإعسار الزوج عن الإنفاق أو امتناعه عن الإنفاق، وقد يكون النفريق للشقاق والضرر بين الزوجين، ودليله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا^(٢)، وقد بين الله تعالى في آية واحدة أحكام الطلاق والمخالعة بقوله (عز وجل): ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْنَتْهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ^٣

(١) النساء، الآية: ٢٤.

(٢) النساء، الآية: ٣٥.

فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا
أَفْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ
اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١﴾.

كما رتب الإسلام جملة من الحقوق للمرأة في حالة الطلاق، ونهى
نهيًا شديدًا عن الإضرار بها ، ودعا إلى حسن المفارقة كما دعا من قبل
إلى حسن العشرة ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ
فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾^(٢).

المشاركة العامة للمرأة المسلمة:

تستمد المشاركة العامة للمرأة المسلمة مشروعيتها من الآيات
القرآنية الكريمة والسنة النبوية الشريفة التي قررت للمرأة التساوي
مع الرجل في الحقوق والواجبات العامة ، ومنحتها أهلية مستقلة
لتلقي التكاليف الشرعية وأدائها ، وجعلت لها ذمة مالية مستقلة
تؤهلها للكسب والتملك والتصرف ، وجعلت لها دورًا في الحرب

(١) البقرة، الآية: ٢٢٩.

(٢) البقرة، الآية: ٢٣١.

والسلم على حدّ سواء.

وقد كان العهد النبوي وعهود الخلفاء الراشدين والتابعين فترات زاهرة للحضارة الإسلامية بصفة عامة ، وفي إطار هذا الازدهار العام كانت مشاركة المرأة بارزة ومزدهرة ، فقد عرف العهد النبوي المرأة صاحبة الأعمال والراعية للدعوة ممثلة في السيدة خديجة (رضي الله عنها)، وعرف المرأة الفقيهة والمفتية ممثلة في السيدة عائشة رضي الله عنها، وعرف المرأة المستشارة التي أخذ النبي ﷺ برأيها في الحديبية ممثلة في السيدة أم سلمة (رضي الله عنها)، وعرف راويات الحديث ممثلات في أمهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ ، وعرف الشاعرة ممثلة في الخنساء التي قدمت أبناءها الأربعة للجهاد في سبيل الله ، وعرف سفيرة النساء للنبي ﷺ ، وعرف المجادلة التي سمع الله قولها من فوق العرش واستجاب لها وأنزل فيها قرآنًا ، كما عرفت العهود اللاحقة نماذج مماثلة من النسوة الشاعرات والأديبات صاحبات مجالس العلم والمنفقات في سبيل الله.

حق المرأة في المشاركة السياسية:

الأصل في المشاركة العامة للمرأة هو الآية القرآنية الكريمة:
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ﴾^(١)، وآيات قرآنية أخرى تجمع المرأة والرجل في العمل
الصالح وفي الثواب عليه ، أما الأحاديث النبوية فهي متعددة ، ومنها
قول النبي ﷺ : " كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فالإمام
راعٍ وهو مسئولٌ عن رعيته ، والرجل في أهله راعٍ وهو مسئولٌ عن
رعيته ، والمرأة في بيت زوجها راعيةٌ وهي مسئولةٌ عن رعيتهَا،
والخادم في مال سيده راعٍ وهو مسئولٌ عن رعيته ، والرجل في مال
أبيه راعٍ وهو مسئولٌ عن رعيته، فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسئولٌ عن
رعيته"^(٢).

(١) التوبة، الآية: ٧١.

(٢) صحيح البخاري ، كتابُ الاستقراضِ وأداءِ الديونِ ، باب العبدِ راعٍ في مالِ
سيده ، حديث رقم: ١١٠٧.

كما أن القرآن الكريم لا يوجد به نص يمنع المرأة من المشاركة السياسية ، بل إنه يتحدث عن المرأة التي حكمت دولة ونجحت في إدارتها وكان لها عرش عظيم ، يقول (عز وجل) على لسان هدهد سليمان: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾^(١)، وهذه المرأة هي بلقيس ملكة سبأ ، وكانت مع قوتها وسلطانها تأخذ بالشورى ، يقول سبحانه في شأنها: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأَوْلُوا بِأَبْسِ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾^(٢)، وهذه الملكة القوية هي التي قادت قومها للإيمان بالله واتباع سليمان (عليه السلام).

(١) النمل، الآية: ٢٣.

(٢) النمل، الآيات: ٣٢ - ٣٤.

المرأة في القضاء والإفتاء:

إن اجتهادات الفقهاء القدماء حول تولي المرأة لمنصب القضاء هي اجتهادات متعددة ومختلفة باختلاف وتعدد مذاهبهم واجتهاداتهم في هذه المسألة، غير أن نظام القضاء الآن قد تحول من قضاء فردي إلى قضاء مؤسسي يشترك في الحكم فيه عدد من القضاة، بل لقد أصبحت مؤسسة التشريع والتقنين مشاركة في ولاية القضاء بتشريعاتها القوانين التي ينفذها القضاة، ومن ثم فلا حرج في ذلك، خاصة أن الخطاب في الآيات المنظمة لإحقاق الحق والعدل وإيفاء الأمانات عام يشمل الرجال والنساء، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾^(٢)، وعموم الخطاب الوارد في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ

(١) النساء، الآية: ٥٨.

(٢) النساء، الآية: ١٣٥.

قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا^(١).

وإذا كانت مسألة تولي المرأة القضاء من المسائل المختلف فيها بين الفقهاء القدامى والمحدثين فإن مسألة تولي المرأة الإفتاء ليست محل خلاف بأي حال بل هي محل اتفاق، والشروط الواجب توافرها في المفتي هي: الإسلام، والتكليف، والعدالة، والاجتهاد (وهو شرط في القاضي والمفتي عند الأئمة الثلاثة، وليس عند الحنفية شرط صحة، بل هو شرط أولوية تسهياً على الناس)^(٢)، والفقهاء (أن يكون المفتي فقيه النفس: أي أن يكون بطبعه شديد الفهم لمقاصد الكلام، صادق الحكم على الأشياء)^(٣). ولا يشترط في المفتي الذكورة أو الحرية، فتصح الفتيا من الحر والعبد، ومن الذكر والأنثى، ومن البصير والأعمى، ومن السميع والأخرس إذا كتب أو فهمت إشارته^(٤).

(١) المائدة، الآية: ٨.

(٢) مجمع الأنهر، ٢ / ١٤٦.

(٣) تبصير النجباء بحقيقة الإفتاء للحنفاوي، ص ١٢.

(٤) يراجع: المجموع للنووي ١ / ٤١، وإعلام الموقعين ٤ / ٢٣٠.

وختامًا.. فإن تكريم الإسلام للمرأة هو في الواقع منظومة متكاملة من الحقوق الشاملة ، وهذه الحقوق من تقرير الخالق (عز وجل) وليست من اجتهادات المخلوقين ، وإن أي انتقاص من هذه الحقوق إنما هو ناتج عن موروث ثقافي جاهلي ممتد في التاريخ ، وإن ما يثار حول وضع المرأة وحقوقها في الإسلام إنما هو نابع إما عن غرض وهوى وسوء قصد ، وإما عن جهل وسوء فهم.

* * *

منهج الإسلام في الزواج وهدية في الطلاق (*)

الزواج من السنن الطبيعية التي لا بد منها في بقاء النوع الإنساني ، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافَ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾^(١)، وكلمة آية أو آيات من العلامات الدالة على قدرة الله

(*) الأستاذ الدكتور/ محمد بن أحمد الصالح ، الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

(١) الروم، الآية: ٢١ - ٢٥.

وحكمته ، وقد وردت في القرآن الكريم في مواطن تنبه الناس للأشياء الكبرى التي خلقها الله (عز وجل) ، وتدلل على عظمته وبديع صنعه .

ولما كان النكاح ذا خطر كبير في بناء المجتمعات خطاً له الإسلام منهجاً خاصاً به دون سائر العقود ؛ فجعل له مقدمات تكفل حسن الاختيار واستمراره واستقرار الحياة الزوجية ، ومن هذه المقدمات: السؤال والتحري عن صفات وأحوال وسلوك كل من الرجل والمرأة رغبة في تحقيق الصفات الواردة في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ لِمُتَّحِنَاتُ حَقِّقْتُ حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾^(١)، والصفات العشر الواردة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً

(١) النساء، الآية: ٣٤ .

وَأَجْرًا عَظِيمًا^(١)، والصفات الست الواردة في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُوَ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ مُؤْمِنَاتٍ مَّوَدَّاتٍ قَاتِلَاتٍ تَتَّبِعَتِ عِبَادَاتٍ سَيَّحَاتٍ نَّيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا^(٢)، واعتمادًا على توجيه المصطفى ﷺ في قوله: "ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته ، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته"^(٣)، وقال ﷺ: "تنكح المرأة لأربع: لملها، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك"^(٤)، وخاطب عليه الصلاة والسلام المرأة وأهلها في قوله: "إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض

(١) الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٢) التحريم، الآية: ٥.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب في حقوق المال، حديث رقم: ١٦٦٤.

(٤) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، حديث

رقم: ٥٠٩٠، صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات

الدين، حديث رقم: ١٤٦٦.

وفساد عريض" (١).

والصفات الطيبة تنتقل إلى المرأة أو الرجل من خلال أصلهما، باعتبار أن الأصل والنسب لهما أثر كبير في نسيج الحياة الزوجية ، قال ﷺ: "الناس معادن كمعادن الفضة والذهب ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا" (٢)، وقال ﷺ: "تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم" (٣).

أهم مقومات الزواج:

من أهم الأهداف التي شرع الزواج من أجلها حماية الشرف، ومنع ابتذال الجنس ، وحفظ الصحة ، وسرور النفس ، مع غض البصر، وتحصين الفرج ، والتمتع بالنعمة، والتماس الذرية الصالحة،

(١) سنن الترمذي ، أبواب النكاح ، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه، حديث رقم: ١٠٨٤.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾، حديث رقم: ٣٣٨٣، وصحيح مسلم واللفظ له، كتاب البر والصلة، باب الأرواح جنود مجندة، حديث رقم: ٢٦٣٨.

(٣) سنن ابن ماجه، كتاب النكاح ، باب الأكفاء ، حديث رقم: ١٩٦٨.

ولذلك فلا بد للزواج من مقومات لتحقيق هذه الأهداف ، ويأتي في مقدمتها حسن الاختيار، ومن أهم مقومات الاختيار ما يلي:

الدين ، والخلق الرفيع ، فالعاقل اللبيب هو الذي يحرص على الاقتران بأهل الدين القويم والخلق الحميد ، فهكذا يكون الزواج أجمل وأكمل ، كما أن من أقوى العوامل التي تحقق السعادة بين الزوجين أن يبذل كل منهما ما في وسعه للتودد للآخر ، والوفاء بحقوقه تنفيذًا لقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١)، ومن منهج الإسلام وهديه في الزواج أن جعل البالغ العاقل الرشيد ذكرًا كان أو أنثى لا يصح تزويجه إلا بموافقة ورضاه ، لقوله ﷺ: " لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا البكر حتى تستأذن" ، قالوا: يا رسول الله: وكيف إذن؟، قال: "أن تسكت"^(٢)،

(١) البقرة، الآية: ٢٢٨.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا يُنكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها، حديث رقم: ٥١٣٦، وصحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استئذان الثيب، حديث رقم: ١٤١٩.

وقال أيضًا: "البكر تستأذن في نفسها، وإذنها صماتها"^(١).
أما أركان عقد الزواج فتتلخص في ثلاثة: الإيجاب ، والقبول،
وخلو الخاطبين من الموانع ، ويترتب على عقد النكاح أربعة حقوق
للمرأة ، وحقوق أربعة مشتركة.

أما الحقوق الخاصة بالمرأة فهي:

١- الصداق ؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ

طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾^(٢).

٢- النفقة ، وتشمل الطعام والشراب والكسوة والسكن

والدواء وأدوات الزينة ، لقوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ

سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ

أُولَاتٍ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ

لَكُمْ فآتوهنَّ أجورهنَّ وأتمروا بينكم بمعروفٍ وإن تعاسرتم

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الحيل ، باب في النكاح ، حديث رقم:

٦٩٨١، وصحيح مسلم ، واللفظ له ، كتاب النكاح ، باب استئذان الثيب في النكاح

بالنطق، حديث رقم: ١٤٢١.

(٢) النساء، الآية: ٤.

فَسَتْرَضِعُ لَهُ وَأُخْرَى﴿^(١)﴾.

٣- المعاشرة بالمعروف؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٢).

٤- العدل والمساواة بغيرها إن كان في عصمته أخرى؛ لقوله

تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾^(٣).

على أن عقد الزواج يرتب أربعة حقوق مشتركة بينهما هي:

١- حق الاستمتاع.

٢- حق التوارث.

٣- حق المعاشرة بالمعروف.

٤- حرمة المصاهرة ، بحيث تحرم عليه أصولها وفروعها،

ويحرم عليها أصوله وفروعه.

هدي الإسلام ومنهجه في الطلاق:

الطلاق نقض لعرى النكاح ، وقد أباحه الإسلام في حال تعذر

الإقامة على النكاح كحل أخير للحفاظ على إنسانية المسلم ، وقد

(١) الطلاق، الآية: ٦ .

(٢) النساء، الآية: ١٩ .

(٣) النساء، الآية: ٣ .

جعل له الإسلام منهاجاً ، حيث إنه لا يبيح الطلاق إلا بعد بذل جهود كبيرة للإصلاح والتوفيق بين الزوجين ، كما حذر القرآن الكريم من العبث بأحكام الطلاق ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١)، وهي مناشدة قوية للأزواج وتحذير من أن يتلاعبوا بالعلاقة الزوجية، ومن أن يعبثوا بأحكام الطلاق ، أو أن يتعدوا فيها حدود الله، فالطلاق يكون محظوراً إذا كان بغير سبب لما فيه من التجني على أحدهما، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾^(٢)، وقال النبي ﷺ: "أيا امرأة سألت

(١) البقرة، الآية: ٢٣١ .

(٢) النساء، الآية: ٣٤ .

زوجها الطلاق في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة" (١).
وكذلك عندما يستشري النزاع ويظهر الشقاق بين الزوجين يأتي التوجيه الإلهي الكريم بإقامة حكمين من أهل الزوج ومن أهل الزوجة للنظر فيما شجر بينهما من خلاف وما حدث من شقاق، باذلين جهدهم في حل هذا الإشكال وإزالة هذه الخصومة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (٢).

والله جل وعلا جعل الطلاق المشروع على ثلاث مراحل، وجعل للزوج أن يراجع زوجته في المرحلتين الأولى والثانية ما دامت في العدة، أما بعد المرحلة الثالثة فقد حرمت عليه حتى تنكح زوجًا آخر نكاح رغبة لا نكاح دلسة، فإذا طلقها الثاني أو مات عنها وفرغت من عدتها أبيع للمطلق السابق أن يتقدم لخطبتها، وفي ذلك كله إبعاد للنهائية السيئة للعلاقة الزوجية، وهي النهائية

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الطلاق، باب كراهية الخلع للمرأة، حديث: ٢٠٥٥.

(٢) النساء، الآية: ٣٥.

التي لا يجها الله ولا رسوله ، وهي انفصام عقد النكاح ، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهُ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾^(٢) وقال ﷺ: "أبغض الحلال إلى الله الطلاق"^(٣).

وقال ﷺ: " لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً سره

آخر"^(٤)، ولا يفرك: أي لا يمقت ولا يسخط ، وقال ﷺ: "فاتقوا

(١) النساء، الآية: ١٩.

(٢) الطلاق، الآية: ١.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الطلاق، باب في كراهة الطلاق، حديث رقم: ٢١٧٨.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، حديث رقم: ١٤٦٩.

الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله^(١).

وهذا هو السر في أن الشريعة تعتبر عقد النكاح عقد دوام واستقرار واستمرار، وأن إنهاء هذا العقد خلاف الأصل، وأنه إنما يلجأ إليه متى كان بقاء العلاقة الزوجية أمراً مستحيلاً وقد يفضي إلى ما حرم الله ، وعندئذ تكون الرحمة أن يمنح كل من الزوجين بالتفريق فرصة جديدة يناسبها قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾^(٢).

وتقضي الأحكام الشرعية بإيفاء المطلقة حقوقاً مالية تتمثل فيما يلي:

١- تسليم مؤخر الصداق.

٢- ثبوت الحق في نفقة العدة.

٣- أجره الرضاع.

٤- أجره الحضانة.

(١) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ ، حديث رقم: ١٢١٨ .

(٢) النساء، الآية: ١٣٠ .

٥- متعة الطلاق ، قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّاتِ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

وختامًا.. فإن منهج الإسلام في الزواج وهدية في الطلاق يؤكد تأكيدًا واضحًا على مراعاة الإسلام للبعد الإنساني في هذه المعاملة، وترسيخه للمبادئ الإنسانية التي تتفق والفطرة السوية وتحافظ عليها وعلى المجتمع الإنساني بوجه عام.

* * *

(١) البقرة، الآية: ٢٣٧.

(٢) البقرة، الآية: ٢٤١.

نساء مصريات (*)

المرأة قسيم الرجل ونصيفه وزوجه وشريكه ، وقد عبر القرآن الكريم في جميع آياته عن المرأة بالزوج ، ولم يذكرها بلفظ الزوجة مرة واحدة، للتكافؤ حتى في اللفظ ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١)،

ويقول سبحانه: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾^(٢)، ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا

(*) الأستاذ الدكتور/ محمد مختار جمعة ، وزير الأوقاف ، رئيس المجلس الأعلى

للشئون الإسلامية.

(١) الروم، الآية: ٢١.

(٢) النحل، الآية: ٧٢.

اللَّهُ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾،
ويقول سبحانه: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ
لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ (٢) ويقول سبحانه: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ
تُحْبَرُونَ﴾ (٣)، حيث يعبر بالزوج هنا عن النظير والضرب والشبيه في
السيرة والمسلك.

وقد عرف التاريخ نساء فضليات كثيرات ، ذكر القرآن
الكريم عددًا منهن صراحة وأخريات إشارة ، وممن ذكرهن
القرآن الكريم صراحة أو إشارة من النساء المصريات اللاتي
وُلدن أو نشأن أو عشن وحيين على أرض مصر أو قدمن إليها أو
مررن بها نذكر هاجر أم إسماعيل ، وامرأة فرعون ، وأم موسى
وأخته ، على الجميع السلام.

- هاجر أم إسماعيل (عليهما السلام): حيث أمر الله (عز وجل)

(١) النساء، الآية: ١ .

(٢) النساء، الآية: ١٢ .

(٣) الزخرف، الآية: ٧٠ .

سيدنا إبراهيم (عليه السلام) أن يأخذها وولدها إسماعيل إلى حيث أراد الله إلى مكة المكرمة إلى واد غير ذي زرع عند بيته المحرم، حيث يقول الحق سبحانه على لسان سيدنا إبراهيم (عليه السلام): ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾^(١)، وهنا يخاطب إبراهيم (عليه السلام) ربه (عز وجل) ويدعوه قائلاً ﴿رَبَّنَا﴾ للتأكيد على أن هذه الربوبية تشمل الجميع ، إبراهيم وهاجر وإسماعيل ومن ترك من ذريته ببلاد الشام والكون كله ، فهو سبحانه رب الجميع وكافلهم ، ويذكر بعض الرواة وكتّاب التاريخ أن سيدنا إبراهيم (عليه السلام) عندما أراد الانصراف التفت إلى زوجته هاجر وولده إسماعيل ، فقالت هاجر لنبى الله إبراهيم (عليه السلام): يا إبراهيم ، الله أمرك بهذا ؟ فقال (عليه السلام): نعم، فقالت عليها وعلى ولدها السلام: إذن لا يُضَيِّعُنَا.

(١) إبراهيم، الآية: ٣٧.

ثم يأتي سعي هاجر (عليها السلام) بين الصفا والمروة طلباً للماء لها ولولدها ، حتى يأتيها الفضل العظيم من رب كريم بفيض زمزم ، لتكون بركة لها ، ولولدها ، ولأهل حرم الله الآمن ، وللعالمين ، وليصبح السعي بين الصفا والمروة ركناً من أركان حج بيت الله (عز وجل)، ورمزاً للسعي الجاد والأخذ بالأسباب إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن يتأمل رحلة السعي هذه بين الصفا والمروة سبع مرات في هذه المنطقة بما كانت عليها من طبيعة قاسية آنذاك يدرك مدى عزيمة هذه المرأة المصرية المؤمنة التي انقطعت في هذه المنطقة لولدها، تقوم على رعايته خير قيام راضية بقدر الله لها ، لا تخشى هذه الطبيعة الصعبة التي كانت في ذلك الوقت جذباء قاحلة موحشة ، إذ كانت (عليها السلام) مؤمنة بأن ربها الذي اختار لها ولولدها هذا المكان كفيل بهما ، أما كيف ومتى فلا علم لها ، غير أن ثقتها في الله لم تقف عند حد ، وعلى أنها لم تقف متواكلة منتظرة أن تمطر السماء لها ذهباً أو فضة ، لكنها سعت وسعت وجدّت واجتهدت وأخذت

بالأسباب ، إلى أن عمَّها خالق الأسباب والمسببات بفضلها
وغمرها بكرمه ورزقه الواسع ، وجعل أفئدة من الناس تهوي
إليها وإلى ولدها وإلى هذا المكان المبارك ، وخلد سعيها الميمون
في كتابه الكريم وجعله أنموذجاً يُحتذى ، ومعلماً من أهم معالم
الحج الجامعة للبشر على اختلاف ألسنتهم وألوانهم لتكتمل به
العبادة.

- امرأة فرعون: وقد امتدحها القرآن الكريم في سورة التحريم،
فقال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا أُمَّرَأَتِ فِرْعَوْنَ إِذْ
قَالَتْ رَبِّ أَبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ
وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١)، فاستجاب الله دعائها، ولم يأخذها
بجريرة فرعون أو جرائمه ، ذلك أن العدل الإلهي اقتضى ﴿أَلَّا تَزِرُ
وَارِثَةً وِزْرَ أُخْرَى ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾، وأن
لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، وأن الإنسان إذا ما صلح

(١) التحريم، الآية: ١١ .

(٢) النجم، الآية: ٣٨-٣٩ .

ما بينه وبين ربه لا يضره ضلال من ضلَّ حتى لو كان أقرب الناس إليه أبًا أو أخًا أو ابنًا ، أو زوجًا كما كان هنا في شأن امرأة فرعون، وهي التي جندها الله (عز وجل) لتحول بين زوجها وحاشيته وبين قتل موسى (عليه السلام) حين ألقى اليم الصندوق الذي وُضع فيه موسى (عليه السلام) إلى قصر فرعون، فأرادوا أن يقتلوه، فقالت: ﴿قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَوَلَدًا﴾^(١).

- أم موسى (عليه السلام) وأخته: وارتباطا بهذا الحديث نقف على ما كان من امرأتين كريمتين عاشتا على أرض مصر، هما: أم موسى (عليه السلام) وأخته، فعندما أخبر أحد الكهنة فرعون أن طفلاً يولد من بني إسرائيل تكون نهاية ملكه على يديه شرع فرعون يقتل أبناءهم الذكور، وفي هذه الفترة العصبية وضعت أم موسى (عليها السلام) وليدها، وخشيت أن يأتي زبانية فرعون لقتله، وهنا جاءها الأمر الإلهي: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ

(١) القصص، الآية: ٩.

أَرْضِعِيهِ طَّ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي طَّ إِنَّا رَأَوُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١﴾.

ولنا مع هذه الآية وقفات:

أن الأصمعي سمع امرأة فصيحة بليغة ، فقال لها: قاتلك الله ما أفصحك، فقالت: وأي فصاحة وأي بلاغة إلى جانب فصاحة وبلاغة كتاب الله (عز وجل)، وقد جمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين ، وخبرين ، وبشارتين ، أما الأمران فهما : ﴿أَرْضِعِيهِ طَّ﴾، و﴿أَلْقِيهِ﴾، وأما النهيان فهما: ﴿وَلَا تَخَافِي﴾، و﴿لَا تَحْزَنِي طَّ﴾، وأما الخبران والبشارتان معاً فهما: ﴿إِنَّا رَأَوُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

١ - أن الإنسان إذا خاف على ولده - وخاصة إذا كان الولد لا يزال طفلاً لا يكاد يعقل ولا يعي - اجتهد كل الاجتهاد في إبعاده عن اليم، لكن الحق سبحانه يوجه أم موسى إذا خافت على ولدها بأن تلقيه في اليم، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ

(١) القصص، الآية: ٧.

لَهُر كُن فَيَكُونُ ﴿١﴾.

وإذا العناية لاحظتك عيونها

نم فالمخاوف كلهن أمان

٢- أن البشرى لم تكن بمجرد رده إليها فحسب ، إنما تجاوزت ذلك إلى بشرى أخرى وهي جعله من المرسلين ، فصنعت أم موسى الصندوق الخشبي، واستجابت في إيمان كبير لأمر ربها، ووضعت في الصندوق وليدها ، وألقته في اليم، وقلبها البشري يكاد ينفطر .

وهنا يأتي دور الأخت ، ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتَيْهِ قُصِيهِ﴾ أي تبعي مسيره في الماء ، ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٢)، فصارت ترقبه على الشاطئ ، ولا يغني حذر من قدر، فقد ألقاه اليم إلى حيث كانت أمه تحذر وتحاف ، ألقاه إلى قصر فرعون ، وتذكر بعض الروايات أن أخته هذه كانت تعمل بقصر فرعون أو لها به

(١) يس، الآية: ٨٢.

(٢) القصص، الآية: ١١.

صلة ما، وقد أبى الطفل أن يرضع من أي امرأة في القصر، فوقعوا في حيرة العناية به ، فقالت أخته: ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾^(١)، وطمس الله سبحانه على أفئدة فرعون وحاشيته ، فلم يسألوا أخت موسى عن سر ثقتها في أهل هذا البيت ، وجاءت البشرى الأولى سريعة غير متوقعة لأم موسى ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾^(٢)، ثم تحققت بعد ذلك البشرى الثانية بجعله من المرسلين. إلى غير ذلك من نماذج لنساء مصريات مثل: امرأة العزيز، وأم يوسف زوج سيدنا يعقوب ، على الجميع السلام ، بما يجعلنا نؤكد أن دور المرأة تاريخياً وفي مسيرة الإنسانية لم يكن أبداً هامشياً ، إنما كان دوراً هاماً وفاعلاً ، وفي قصة أم موسى وأخته بدا دورهما في الحفاظ على الأسرة وحماتها مما يتهددها من تحديات واضحة بارزاً، مما يؤكد قدرة المرأة على الإسهام في مواجهة المخاطر والتحديات ،

(١) القصص، الآية: ١٢ .

(٢) القصص، الآية: ١٣ .

والحفاظ على بيتها وأسرتها وعرضها وأبنائها ، وكذلك الإسهام في
نهضة وطنها ورقية وتقدمه.

* * *

الشخصية القانونية للمرأة وتفعيل دورها في الدولة الوطنية^(*)

إن احترام حقوق الإنسان في أي دولة في العالم يعدُّ معيارًا لقياس مدى تقدم هذه الدولة ورفيها، وكلما ازداد تطبيق مبادئ وقوانين حماية حقوق الإنسان في الدولة واحترام هذه المبادئ في مختلف الميادين ارتفعت هذه الدولة في سلم التقييم الدولي وتم اعتبارها دولة قانون ، ومن ثمَّ فإنَّ احترام حقوق المرأة في أي دولة وارتفاع نسبة تعليمها ونسبة تواجدها في سوق العمل وفي البرلمان وفي الحكومة يزيد من مكانة تلك الدولة واعتبارها من الدول الراقية المتقدمة ، وهذا يبين مدى ارتباط احترام حقوق الإنسان باحترام حقوق المرأة في أية دولة.

ومما لا شك فيه أن الإسلام قد منح المرأة حقوقًا يمكنها أن تتفاخر بها بين نساء العالم أجمع ، حيث قرر مساواة المرأة بالرجل في الكرامة الإنسانية ، وفي كونها خلقت مثله من نفس البوتقة البشرية ،

(*) أ.د/ فوزية العشاوي ، أستاذة الحضارة الإسلامية ، جامعة جنيف ، سويسرا.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(١)،
 وقرر أيضًا تفضيلها على بقية المخلوقات مثلها مثل الرجل وبنفس
 الدرجة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوُجُوهِ
 وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا
 تَفْضِيلًا﴾^(٢).

وقد كان رسول الله ﷺ أكرم خلق الله مع نسائه وبناته ، وظل
 يوصي بالنساء خيرًا ، قال ﷺ : " اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا " ^(٣)، ومن
 أحاديثه الكريمة ﷺ في تكريم البنات قوله ﷺ : " من كان له ثلاث
 بنات فصبر عليهن ، وأطعمهن ، وسقاهن ، وكساهن من جدته
 كن له حجابًا من النار يوم القيامة " ^(٤)، وعن إكرامه للزوجة قوله

(١) النساء ، الآية : ١ .

(٢) الإسراء ، الآية : ٧٠ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب الوصاة بالنساء ، حديث رقم : ٥١٨٦ .

(٤) سنن ابن ماجه ، كتاب الأدب ، باب بر الوالد ، والإحسان إلى البنات ، حديث
 رقم : ٣٦٦٩ .

ﷺ: " إِنَّمَا الدُّنْيَا مَتَاعٌ ، وَلَيْسَ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنَ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ"^(١)، كما أوصى الرسول ﷺ بالأم في كثير من أحاديثه الشريفة، وجعل البر بها مقدماً على بر الأب ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك ، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك، قال: ثم أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك^(٢).

ولعل أكبر دليل على أن الإسلام قد اعتبر المرأة منذ البداية إنساناً عاقلاً ذا مسئولية أمام الله (عز وجل) وأمام المجتمع ، وأن الله فضلها على بقية المخلوقات مثلها مثل الرجل ، وبنفس الدرجة ؛ أن القرآن الكريم لم يفرق بين الرجل والمرأة في العبادات وفي الأجر والثواب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْلَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا﴾^(٣)، لقد فرض الإسلام

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب النكاح ، بابُ أَفْضَلِ النِّسَاءِ ، حديث رقم : ١٨٥٥ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحَسَنِ الصَّحْبَةِ ، حديث:

٥٩٧١ ، صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب بر الوالدين ، حديث : ٢٥٤٨ .

(٣) النساء ، الآية : ١٢٤ .

على المرأة مثل الذي فرضه على الرجل من شهادة ، وصلاة ، وصوم ، وزكاة ، وحج ، فالمرأة المسلمة مسئولة عن نفسها أمام الله سبحانه ، ومسئولة عن صلواتها ، وعن صومها ، تماماً مثل الرجل ، وهي مسئولة عن إخراج الزكاة بنفس المقدار المفروض على الرجل ، سواء زكاة المال ، أو الزكاة على ما يمتلكه من أراضٍ زراعية وبنفس النسبة ، كما فرض عليها الحج والعمرة إن استطاعت إليهما سبيلاً مثلها مثل الرجل ، وتحمل المرأة وحدها مسئولية أفعالها المدنية من سرقة ، أو رشوة ، أو اختلاس ، أو قتل ، وتحمل المسئولية الجنائية ، وجزاؤها لا يقل عن جزاء الرجل ، ويحكم عليها بنفس العقوبة التي يحكم بها على الرجل عند ارتكابه نفس الجريمة دون تفرقة بينهما ، قال تعالى:

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١) ، و قال (عز وجل): ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾^(٢).

(١) المائدة، الآية: ٣٨.

(٢) النور، الآية: ٢.

كما حمل الإسلام المرأة رسالة اجتماعية ، وجعل لها دورًا فعالاً واضحًا داخل المجتمع، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يخص المرأة بمجال محدود فقط فيما يختص بأمور النساء والأولاد، بل جعل المجال أمامها مفتوحًا مثلها مثل الرجل ، قال تعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

الشخصية القانونية للمرأة في الإسلام:

إن مكونات الأهلية الكاملة أو الشخصية القانونية طبقاً للقاموس القانوني المعاصر هي : (الاسم ، والذمة المالية ، والحقوق المدنية ، والجنسية)، وإذا درسنا الشخصية القانونية للمرأة في ظل الإسلام، لوجدنا أن الإسلام يمنح المرأة كل مكونات الشخصية القانونية المستقلة ؛ فهي تحمل اسم أبيها وعائلتها ، وتمتع باستقلالية الذمة المالية ، وبجميع الحقوق المدنية مثلها مثل الرجل ، ومن ثم الجنسية ،

(١) التوبة، الآية: ٧١.

حيث إن الجنسية تعرف بأنها رابطة قانونية وسياسية تقررها الدولة فتجعل من الفرد عضواً في شعبها ، وهذه الرابطة ترتب حقوقاً وواجبات على الفرد^(١)، وهذه الحقوق والواجبات التي تعرف بأنها الحقوق المدنية تدرج في قانون الأحوال الشخصية لكل دولة، وهو القانون الذي ينظم المسائل المتعلقة بأحوال الناس ، وأهلية كل فرد منهم ، وكذلك المسائل المتعلقة بنظام الأسرة كالخطبة ، والزواج ، وحقوق الزوجين ، وواجباتها المتبادلة ، والمهر ، ونظام الأموال بين الزوجين ، إلى جانب المسائل المتعلقة بالطلاق والتطليق والتفريق ، وغيرها من المسائل ذات العلاقة الوثيقة بالإنسان منذ ولادته إلى وفاته. وغني عن القول أن الإسلام أعطى المرأة حقوقها الإنسانية كاملة غير منقوصة ، ومن هذه الحقوق ما يلي:

١ - حق التعليم:

لقد حث الرسول الكريم ﷺ على طلب العلم ، فعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ

(١) انظر: المرأة والقانون ، بدرية عبد الله العوضي ، الكويت، عام ١٩٩٠ م.

عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ"^(١)، وكلمة مسلم هنا اسم جنس أي أنها تشمل الرجل والمرأة ، كما حث الرسول ﷺ على تعليم النساء ، وكانت معظم زوجاته يُجِدْنَ القراءة والكتابة ، وكتب السيرة تؤكد لنا أن السيدة عائشة (رضي الله عنها) كانت مرجعاً من أهم مراجع السيرة النبوية الشريفة، وكانت فقيهة تراجع الرواة والقراء والفقهاء ، كما استعان الرسول ﷺ بامرأة من قبيلة بني عدي تدعى الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس لتعليم زوجته حفصة بنت عمر بن الخطاب تحسين الخط وتزيين الكتابة ، وقد نقل لنا التاريخ الإسلامي أن كثيراً من كبار العلماء والفقهاء تلقوا العلم على يد النساء.

٢- حق استقلال الذمة المالية:

منح الإسلام المرأة الأهلية المستقلة وحرية الذمة المالية قبل كل الحضارات والأديان الأخرى ، وكفل لها عقود المديونات من بيع وشراء ، ومباشرة عقود التصرفات بجميع أنواعها ، والتصرف في

(١) سنن ابن ماجه ، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ، حديث رقم: ٢٢٤.

أموالها وممتلكاتها دون أي تدخل من أي رجل سواء أكان أباً ، أم
أخاً ، أم زوجاً ، أم ابناً إلا بإذنها ورضاها ، ولها الحق في أن تفدي
نفسها بالمال ، قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾^(١).

٣- حق العمل:

لم يمنع الإسلام المرأة من ممارسة العمل خارج بيتها؛ فهذه
أسماء بنت أبي بكر تباشر العمل في أرض زوجها الزبير بن العوام
وتقول: "فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ وَأَسْتَقِي الْمَاءَ... وَكُنْتُ أُنْقِلُ النَّوَى
مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ النَّبِيِّ أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَأْسِي ، وَهِيَ مِنِّي
عَلَى ثُلْثِي فَرَسِخٍ ، فَجِئْتُ يَوْمًا وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِي ، فَلَقِيْتُ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَدَعَانِي... لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ ، فَاسْتَحْيَيْتُ
أَنْ أَسِيرَ مَعَ الرَّجَالِ"^(٢)، وهذه الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس
اشتغلت بتعليم القراءة والكتابة، وتميزت بالحكمة ورجاحة العقل

(١) البقرة، الآية: ٢٢٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، بابُ العَيْرَةِ، حديث رقم: ٥٢٢٤.

حتى أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عندما أصبح خليفة ولاها ولاية الحسبة^(١)، أي وزارة التجارة والأسواق ، والأوزان والمعاملات ، فكانت تراقب وتحاسب وتفصل بين التجار وأهل السوق من الرجال والنساء ، وتعتبر الشفاء أول امرأة تتقلد منصب وزيرة في الأمة الإسلامية.

٤- حق اختيار الزوج:

يكون عقد الزواج باطلاً بدون موافقة الزوجة، فقد روت السيدة عائشة -رضي الله عنها- عن النبي ﷺ أنه قال: "لَا تُنْكَحُ الْاَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلَا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: "أَنْ تَسْكُتَ"^(٢)، وعن امرأة تدعى خنسَاء بنت خدام الأنصارية: أَنَّ أَبَاهَا زَوَّجَهَا وَهِيَ تَيْبٌ فَكَرِهَتْ ذَلِكَ،

(١) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، للقرطبي، المحقق: علي محمد الجاوي، دار

الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ١٨٦/٩ بتصرف.

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا ينكح الأب وغيره البكر والتيب إلا

برضاها، حديث رقم: ٥١٣٦.

فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَرَدَّ نِكَاحَهُ^(١)، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ جَارِيَةَ بَكْرًا أَتَتْ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَذَكَرَتْ أَنَّ أَبَاهَا زَوَّجَهَا وَهِيَ كَارِهَةٌ، فَخَيَّرَهَا النَّبِيُّ ﷺ^(٢).

٥- حق الاحتفاظ بالاسم:

كفل الإسلام للمرأة أن تحتفظ باسمها ، واسم أبيها وعائلتها، ولا ينمحي اسمها بالزواج من رجل حتى وإن كان هذا الرجل رسول الله ﷺ ، فالتاريخ الإسلامي يذكر لنا النساء بأسمائهن وليس بأسماء أزواجهن ، هذه خديجة بنت خويلد ، وهذه عائشة بنت أبي بكر، وهذه حفصة بنت عمر بن الخطاب ، فلم يذكرهن أحد أبداً باسم زوجهن الرسول الكريم ﷺ ، والاحتفاظ بالاسم دليل على أن المرأة في الإسلام كائن مستقل مثلها مثل الرجل .

(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب إذا زوج ابنته وهي كارهة نكاحه مردود ،

حديث رقم: ٥١٣٨ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب النكاح ، باب في البكر يُزَوَّجُهَا أَبُوهَا وَلَا يَسْتَأْمِرُهَا ، حديث

رقم: ٢٠٩٦ .

٦- حقوق المشاركة الاجتماعية:

تمتعت المرأة في الإسلام بكثير من الحقوق الاجتماعية ، فكان النساء يحضرنَ دروس الرسول ﷺ العامة في المسجد إلى جانب الرجال ، ونظرًا لكثرة عدد الرجال كنَّ لا يتمكننَّ من توجيه الأسئلة إلى الرسول ﷺ مباشرة ، فطالبن بتخصيص دروس لهن وحدهن ، ومنذ عهد الرسول ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين وعبر التاريخ الإسلامي شاركت المرأة المسلمة مع الرجل جنبًا إلى جنب في الحياة الاجتماعية ، وفي جميع مجالات العمل الاجتماعي ، فلقد اشتركت المرأة المسلمة في أول هجرة للمسلمين إلى الحبشة ، وكذلك في الهجرة إلى المدينة المنورة ، واشتركت في ميادين القتال، فعن أنسٍ (رضي الله عنه)، أن أم سليمٍ اتخذت يوم حنينٍ خنجرًا، فكان معها ، فرآها أبو طلحة ، فقال: يا رسول الله ، هذه أم سليمٍ (رضي الله عنها) معها خنجرٌ ، فقال لها رسول الله ﷺ : " ما هذا الخنجر؟" قالت : اتخذته إن دنا مني أحدٌ من المشركين بقرت به بطنه ، فجعل رسول الله ﷺ يضحك ، قالت : يا رسول الله ، اقتل من بعدنا من الطلقاء انهزموا بك ؟ فقال رسول الله ﷺ : " يا أم

سليم ، إن الله قد كفى وأحسن" (١).

٧- حق الميراث:

كفل الإسلام للمرأة نصيباً من الميراث، قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (٢)، وهذه الآية الكريمة تمنح المرأة نصيبها في الميراث دون أن تحدد كمية هذا الميراث أي أنصبتة ؛ لأن حق الإرث في الإسلام يتميز بأنه لا يتوقف على جنس الوارث بل يتوقف على أشياء أخرى مثل: مسئولية الوارث وواجباته ودرجة قرابته.

ونصيب المرأة في الميراث من حقها وحدها ، ولها مطلق الحرية في إنفاقه أو عدم إنفاقه، بينما الرجل ملزم بالإنفاق عليها ، فقد ألزم الإسلام الرجل بتحمل مسئولية الأعباء المالية للأسرة ، قال تعالى:

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة النساء مع الرجال ، حديث رقم:

.١٨٠٩

(٢) النساء، الآية: ٧.

﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾^(١)، وفي كثير من حالات الميراث يكون نصيب المرأة في الميراث معادلاً لنصيب الرجل ، بل أحياناً يفوق نصيب الرجل ، فهناك أكثر من عشر حالات تراث فيها المرأة نصيباً أكبر من نصيب الرجل .

٨- حق الطلاق:

أقر الإسلام حق المرأة في الطلاق على أن تفدي نفسها وتقوم بتعويض الزوج عن خسارته المادية الناجمة عن طلاقها بناءً على رغبتها، قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ﴾^(٢)، وهذا الطلاق بناءً على رغبة الزوجة يُسمى: الخلع، وهو موجود ومتعارف عليه منذ عهد الرسول ﷺ، مثلما حدث مع الصحابية التي استشارت الرسول ﷺ في طلب طلاقها من زوجها لأنها لا ترغب في البقاء معه ، وكان هذا الزوج قد منحها حديقة كمهر وصدّاق، فاشتراط عليها الرسول ﷺ مقابل حصولها على

(١) الطلاق، الآية: ٧.

(٢) البقرة، الآية: ٢٢٩.

الطلاق أن ترد عليه حديقته ، ففعلت ، فطلقها زوجها^(١).

٩- الحقوق السياسية:

منح الإسلام المرأة الحقوق التي نطلق عليها حالياً مصطلح الحقوق السياسية ، أي حق الانتخاب والإدلاء بصوتها، وهذا ما فعلته النساء عندما بايعن الرسول ﷺ مع الرجال تحت الشجرة^(٢)، والمبايعة أو البيعة معناها الانتخاب والتصويت ، وهذه المشاركة النسائية في البيعة للرسول الكريم ﷺ تعتبر إقراراً لحقوق المرأة السياسية طبقاً لمصطلحاتنا اليوم ، إذ إن بيعة العقبة تعتبر عقد تأسيس الدولة الإسلامية الأولى في المدينة.

الدولة الوطنية والمواطنة:

يتم تعريف المواطنة في أي دولة بالانتماء إلى هذه الدولة ، والولاء لها ، والعيش على أراضيها ، والخضوع للدستور ومنظومة القوانين التي تنظم أمور المواطنين فيها ، واحترام سيادة القانون؛ وبالتالي فإن المواطن

(١) انظر: صحيح البخاري ، كتاب الطلاق ، باب الخلع وكيف الطلاق فيه ، حديث رقم: ٥٢٧٣.

(٢) انظر: سنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، بَابُ بَيْعَةِ النِّسَاءِ ، حديث رقم: ٢٨٧٤.

فيها لا يتم تعريفه بجنسه كرجل أو امرأة ، أو بمهنته ، أو بدينه ، أو بحرفته ، أو بثروته ومكانته وسلطته ، ولكن يتم تعريف المواطن تعريفًا قانونيًا اجتماعيًا بأنه مجرد مواطن ، أي أنه عضو في المجتمع ، وله نفس حقوق وواجبات بقية المواطنين الآخرين ، ومن ثمَّ فإنَّ الدولة لا تفرِّق بين دين وآخر؛ فالمواطنة تعني المساواة بين جميع المواطنين دون النظر إلى دينهم ، أو فكرهم ، أو أيديولوجيتهم ، أو لغتهم ، أو عرقهم ، أو جنسهم ، وترتكز الدولة على مبادئ : قبول الآخر ، والتسامح ، والسلام ، والمساواة بين الجميع في الحقوق والواجبات.

ومن هذا المنطلق فإنَّ للمرأة مكانة ودورًا هامًا في أي دولة ، سواء أكان شعب هذه الدولة يدين بالإسلام أم بأي أديان أخرى ، وسواء أكانت المرأة مسلمة أم غير مسلمة.

مكانة ودور المرأة المسلمة في الدولة التي يدين شعبها بالإسلام

تتمتع المرأة في الدول التي يدين شعبها بالإسلام بحقوق كفلها لها القرآن الكريم قبل أن تقرّها وتقننها القوانين الوضعية في كل دولة من هذه الدول ، ولقد جعل الإسلام للمرأة دورًا مهمًا ؛

لأنه كلفها برسالة ، وجعل لها دورًا فعليًا واضحًا داخل المجتمع ، وليس فقط داخل أسرتها الصغيرة ، حيث يأمر الله سبحانه في الآية التالية كلاً من الرجل والمرأة بتأدية دورهما الاجتماعي ، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الناس جميعاً ، ولم يخص المرأة بمجال محدود فقط فيما يختص بأمور النساء والأولاد ، بل جعل المجال أمامها مفتوحاً مثلها مثل الرجل ، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(١).

كما أن الرسول ﷺ أكد على مبدأ المساواة بين الناس جميعاً ، ولم يفرق بين البشر بسبب الدين أو الجنس البشري ، بل كفل لكل البشر المساواة طبقاً لحديثه الشريف ، يقول ﷺ: "الناس كأسنان المشط"^(٢)، والحديث الشريف يركز على المساواة بتشبيه الناس -أي

(١) التوبة، الآية: ٧١.

(٢) مسند الشهاب للقضاعي، باب الناس كأسنان المشط، حديث رقم: ١٩٥.

الرجال والنساء- بأسنان المشط، حيث إنها كلها سواسية ، تكمل بعضها بعضاً، ولها نفس الحقوق داخل المشط الذي يُمثل المجتمع، وهذا تأكيد على المساواة المطلقة بين البشر بدون تفرقة ، أو عنصرية، أو تمييز بسبب الجنس ، أو اللون ، أو العرقية ، أو اللغة ، أو حتى الدين ، طالما أن المصطلح المستخدم هو "الناس" وليس تعبير المسلمين أو المؤمنين ، ولكن الناس جميعاً ، أي الرجال والنساء عامة.

كذلك أقرت وثيقة المدينة - وهي أول دستور وضعه الرسول ﷺ للتعايش السلمي في المدينة- المساواة بين جميع المواطنين في المدينة رجالاً ونساء باختلاف معتقداتهم الدينية ، وكلنا نعلم أن شعب المدينة في عهد الرسول ﷺ كان يتكون من مهاجرين وأنصار ، ومن رجال ونساء ، وكذلك من يهود ونصارى وكفار ، ولكن الرسول ﷺ لم يفرق بينهم ، بل أقرت الوثيقة الاعتراف بالآخر: "لهم ما لنا وعليهم ما علينا"، أي المساواة التامة في الحقوق والواجبات بين جميع المواطنين في المدينة.

وحتى تستطيع المرأة تأدية دورها الاجتماعي الذي حدده لها الإسلام يجب مساعدتها على تفعيل هذا الدور ، لذلك على المجتمع أن يوفر لها الاحترام اللائق بها ، ويُفسح لها الطريق في مجالات العلم والمجالس النيابية ومجالس القضاء ، وأن يعاملها كإنسان كامل الأهلية ، يقول الشيخ/ محمود شلتوت (رحمه الله) -شيخ الأزهر سابقاً- في التأكيد على حقوق المرأة التي حباها بها الله (عز وجل) في الإسلام: "ومن لوازم اشتراك المرأة فيما أسلفنا من حق التعليم واحترام الرأي والجهاد والدماء والتصرفات - مدنية أم شخصية- أن تشارك فيما ينشأ في المجتمعات من حق الخصومة والتقاضي، فتكون مدعية ومدعى عليها ، وشاهدة ومشهوداً عليها ، متفردة ومجتمعة ، وتكون وصية ، وناظر وقف ، ووكيلة ، وكفيلة ، وراهنة، ومرتهنة ، وشريكة ، وتكون متصدقة ، وواهبة ، ومتصدقاً عليها، وموهوباً لها ، وتكون قيمة ومحجورة ، كما يكون الرجل ذلك كله"^(١).

(١) انظر: محمود شلتوت ، القرآن والمرأة ، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية،

ومن هذا المنطلق يجب تمكين المرأة حتى تتمتع بالحقوق السياسية في الترشيح والانتخاب، وعضوية البرلمان ، وتقلد المناصب القيادية على حدّ سواء مع الرجال على أساس الكفاءة والخبرة.

وجدير بالذكر أن الوثائق الدولية الصادرة عن الأمم المتحدة والمنظمات الدولية تطالب بما أطلقوا عليه تعبير "تمكين المرأة"، ومعناه إشراك المرأة في الحياة السياسية والاقتصادية ، وذلك بفتح هذه المجالات للمرأة بحيث تتبوأ المناصب القيادية في شتى التخصصات، دون تفرقة بينها وبين قرنائها من الرجال ، وهذا ما سبق إليه الإسلام، دون استعلاء أو استقواء من أحدٍ على أحد .

إن تفعيل دور المرأة في المجتمعات المسلمة سيسهم إيجابياً في إقرار السلام والتسامح في هذه المجتمعات ؛ لأن المرأة هي الركيزة التي تضمن استقرار الأسرة وتكاتفها ، فهي الأم والأخت والزوجة والابنة ، ولكل منهن دور أساس في كل أسرة ، وعلى كل منهن تادية وظيفتها الأساسية في الأسرة بمساهمة فعّالة في التربية ، والرعاية ، والحفاظ على الأخلاق الإسلامية ، وتطبيق المبادئ

الإنسانية في التعامل مع الآخرين في المجتمع ، والاعتراف بالآخر مهما كان دينه أو عرقه بدون تفرقة ، ومراعاة حق الجيرة ، والمساهمة في الحياة الاجتماعية والسياسية مساهمة فعّالة ؛ للارتفاع بمستوى الدولة في جميع المجالات التي يمكنها المشاركة فيها.

مكانة ودور المرأة المسلمة في الدول الغربية:

إن معظم الدول الأوروبية والأمريكية ليس لها دين رسمي ولكن شعبها له حرية الدين ، أي أن الدولة تسمح لرعاياها ومواطنيها باعتناق الدين الذي يؤمنون به دون تفضيل دين عن دين آخر، ومعاملة جميع المواطنين معاملة متساوية ، ولهم نفس حقوق المواطنة بدون تفرقة بينهم في الحقوق والواجبات.

والمرأة في هذه الدول تتمتع بمكانة إنسانية ، ولها دور مهم ومشاركة فعّالة مع الرجل في معظم مجالات الحياة السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، وتنصّ دساتير معظم هذه الدول على المساواة التامة بين الرجل والمرأة ، ويُعتبر دور المرأة المسلمة في هذه الدول في غاية الأهمية لتحقيق التعايش السلمي للمسلمين في هذه

المجتمعات غير المسلمة ، لذا يجب علي المرأة المسلمة التي تعيش في هذه المجتمعات أن تصحح من خلال تصرفاتها ومعاملاتها مع الآخرين الصورة المغلوطة التي رسخت في ذهن الغربيين عن المرأة المسلمة ، وأن تثبت للغربيين حقيقة أن الإسلام قد منح المرأة منذ ظهوره حقوقاً لم تكن تتمتع بها النساء في أي مكان في العالم ، لا في الإمبراطورية الرومانية ، ولا في الإمبراطورية الفارسية ، ولا في أي دولة أوروبية في ذلك العهد البعيد.

وفي زمن "الكورونا" الذي نعيش فيه حالياً يجب تفعيل دور المرأة في هذه المجتمعات التي لا تدين بالإسلام ، وعلى المرأة المسلمة التي تعيش فيها أن تبذل قصارى جهدها لتصحيح الصورة المشوهة المنتشرة عنها في تلك المجتمعات ؛ وذلك بمشاركتها الفعالة في الحياة الاجتماعية والمدنية في الحي الذي تعيش فيه ، وعلى المرأة المسلمة أن تُسهم في مختلف الأنشطة والبرامج التطوعية لخدمة جيرانها ، وخاصة المسنين ، ومساعدتهم على قضاء احتياجاتهم من مشتريات ومستلزمات ، وتقديم العون والراحة لهم.

كما عليها أيضًا أن تعلم أبناءها كيفية التمسك بتعاليم وقيم الإسلام، وعدم الانقياد للتيارات التحررية والإباحية في تلك المجتمعات، مع الحرص على حسن التعامل مع زملائهم في المدارس والجامعات، وأن يتبادلوا المشاركة والتعاون مع زملائهم، وتقديم المساعدة عبر الإنترنت لزملائهم الذين يحتاجون للمساعدة في دروسهم. وكما هو معروف في السنوات الأخيرة مع ازدياد عدد المسلمين في الدول العلمانية وزيادة ظهور النساء المسلمات المحجبات في هذه الدول برزت مشكلة أمام هؤلاء النساء المحجبات في التعامل معهن ، فعلى المرأة المسلمة المحجبة التي تعيش في هذه المجتمعات أن تتعامل بسلاسة وانفتاح معهم ؛ لتثبت لهم أن الحجاب لا يمنعها من التعامل والتفاعل والعيش في سلامٍ ووئامٍ مع الجيران ، وأن لبسها لا يتعارض مع مشاركتها الفعّالة في جميع الأنشطة الاجتماعية الجادة والمفيدة لها وللسكان الحي الذي تعيش فيه.

وختامًا.. فقد كان الإسلام سابقًا في منح المرأة حقوقها الشخصية مستقلة عن الرجل ، بل يعتبر موقف الإسلام من المرأة

منذ أربعة عشر قرناً ثورة على المفهوم السائد عن المرأة في الأمم السابقة من حيث الشك في إنسانيتها وفي مساواتها بالرجل ، حيث أكد الإسلام على حقوق المرأة وأهليتها الكاملة ، وهو ما نطلق عليه في الوقت الحاضر الشخصية القانونية المستقلة .

كما أن المرأة المسلمة التي تعيش في المجتمعات غير المسلمة - خاصة في زمن الكورونا- وبفضل مشاركتها الفعّالة في مواجهة هذا الوباء اللعين بامتثالها للإجراءات الوقائية لها ولأسرتها، ومساعدتها لجيرانها ومعارفها ، وفي الحفاظ على صحة أسرتها ، وتفاعلها مع زملائها في محيط العمل، استطاعت أن تثبت للأوروبيين أن الإسلام جعل للمرأة مكانة رفيعة ، وأن هذه المكانة تحسدها عليها المرأة الأوروبية التي لم تحصل على كثير من حقوقها المدنية والسياسية إلا بعد صراع مرير استمر أكثر من مائة عامٍ أو يزيد ، بينما المرأة المسلمة تمتعت بكل هذه الحقوق في عهد الرسول الكريم ﷺ في المدينة المنورة منذ أربعة عشر قرناً .

* * *

المسؤولية القانونية للمرأة وأهلية الأداء (*)

لقد أعطى الإسلام المرأة حقوقاً كاملة ، وسوّى بينها وبين الرجل في سائر الحقوق والحريات ، وقد ورد قوام هذه المساواة في القرآن الكريم ، وفي سنة رسول الله ﷺ ، كما تجلّى في عمل المسلمين وتعاملهم مع المرأة في كافة مراحل الحياة.

فقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بجلاء في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾^(١)، ويقول (عز وجل): ﴿وَمَاتُوا النِّسَاءَ صَدَقْتِهِنَّ نِحْلَةً﴾^(٢)، ويقول سبحانه: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾^(٣)،

(*) الأستاذ الدكتور/ جعفر عبد السلام ، الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية ، مصر.

(١) البقرة، الآية: ٢٢٨ .

(٢) النساء، الآية: ٤ .

(٣) النساء، الآية: ٧ .

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ
كُرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ
بِفَلْحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ
تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(١)، ولا ريب أن هذه
الآيات وغيرها توضّح ما انطوى عليه الإسلام من مبادئ تقر بحقوق
المرأة وشخصيتها المستقلة.

وفي جوامع الكلم من سنة النبي ﷺ الكثير والكثير، فيقول ﷺ:
"النساء شقائق الرجال"^(٢)، وقد دّعم رسول الله ﷺ شخصية المرأة
فجعلها راعية في ميدان ، كما أن الرجل راعٍ في ميدان آخر ؛ فعن عبد
الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
"كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن
رعيته ، والرجل راعٍ في أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في

(١) النساء، الآية: ١٩.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب في الرجل يجد البلة في منامه، حديث رقم:
٢٣٦، والترمذي: كتاب الطهارة، باب فيمن يستيقظ فيرى بللاً، حديث رقم:

بيت زوجها ومسئولة عن رعيتهما، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته ، قال: وحسبت أن قد قال: والرجل راع في مال أبيه ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته"^(١).

كما قرر الرسول ﷺ للمرأة شخصية في الإنفاق كما قرر للرجل، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: "إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ، ولزوجها أجره بما كسب ، وللخازن مثل ذلك ، لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا"^(٢).

كما فتح الإسلام الباب على مصراعيه للمرأة للتعلم والتفقه حتى في أدق الأمور؛ فعن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن زينب بنت أبي سلمة ، عن أم سلمة ، أن أم سليم قالت : يا رسول الله ، إن الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة الغسل إذا احتلمت؟ قال: "نعم إذا رأَت الماء"، فضحكت أم سلمة ، فقالت: تحتلم المرأة؟ ، فقال رسول

(١) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، حديث رقم: ٨٩٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب من أمر خادمه بالصدقة، حديث رقم: ١٤٢٥.

الله ﷺ: "فبم يشبه الولد"^(١).

وكما سَوَّى الإسلام بينها وبين الرجل في الحقوق فقد سَوَّى بينها وبينه في الحدود ؛ فعن عروة عن عائشة (رضي الله عنها): أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت ، فقالوا : ومن يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ ، فكلمه أسامة ، فقال رسول الله ﷺ: "أتشفع في حدٍّ من حدود الله" ، ثم قام فاخطب ، ثم قال: "إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"^(٢).

كما أقر الإسلام للمرأة شخصيتها القانونية؛ فأثبت لها ذمة مالية مستقلة عن الرجل ، كما أن من حقها أن يكون لها موطن ، والواقع أنه يترتب على الاعتراف بالشخصية القانونية للمرأة حقها في الجنسية بالمعايير التي تثبت بها تلك الجنسية للرجل وبدون تمييز.

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم، حديث رقم: ٣٣٢٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث رقم:

أنواع التصرفات القانونية:

تنقسم التصرفات القانونية من حيث أهلية الأداء إلى أقسام

ثلاثة ، هي:

١. تصرفات نافعة نفعاً محضاً ، ويُطلق عليها أعمال الاغتناء ،

فهي سبب اغتناء من يباشرها بغير مقابل ، كالتبرعات غير

المقترنة بشرط ، وكالهبة والوصية .

٢. تصرفات ضارة ضرراً محضاً ، ويطلق عليها أعمال الافتقار ،

وهي تلك التي يترتب عليها خروج المال من ذمة صاحبه بغير

مقابل مما يترتب عليه افتقاره ، وذلك كالهبة بالنسبة للوهاب

والوصية بالنسبة للموصي .

٣. تصرفات دائرة بين النفع والضرر ، وهي تلك التي تحتل

المكسب والخسارة ، أي لا تؤدي إلى اغتناء أو افتقار محض ،

وذلك كأعمال الإدارة وهي التي ترد على الشيء لاستغلاله

كالإيجار ، وأعمال التصرف بعوض كالبيع .

أهلية الأداء:

وهي قدرة الشخص على ممارسة حقوقه وتحمل واجباته ، وهي لا

تكون إلا عن طريق التعبير عن الإرادة على وجه يعتد به الشرع والقانون.

هذه القدرة لا تظهر إلا في التصرفات الإرادية ، وهي الأعمال التي يعلن فيها الشخص عن قصده وإرادته بقصد إحداث أثر قانوني معين، ومن أمثلتها العقود أو التبرعات ، فعقد البيع مثلاً هو تصرف قانوني لأنه يعبر عن إرادتي البائع والمشتري ، ولذا يرتب آثاراً قانونية أهمها التزام المشتري بالثمن والتزام البائع بنقل الشيء المبيع .

أما الأعمال المادية فلا شأن لها بأهلية الأداء ؛ لأنها أفعال يرتب عليها القانون آثاراً معينة دون أن يعتد بإرادة الشخص ، ولو لم يقصد هذا الشخص أن يرتب على عمله هذه الآثار ، وذلك كالقتل الخطأ .. وهكذا .

ومناط أهلية الأداء هو : التمييز والإدراك ، ويتأثر التمييز والإدراك لدى الفرد بالسن وما يسمى بعوارض الأهلية .

فإذا توافرت في المرأة أهلية الأداء كانت قادرة على جميع التصرفات القانونية ، وقد أعطى الإسلام المرأة البالغة العاقلة

الرشيدة كامل استقلالها في القيام بجميع التصرفات القانونية ، ولا وصاية عليها في ذلك من أحد ، وإن كان للولي حق وواجب في تزويج البالغة البكر تكريماً لها ، إلا أن الشرع يشترط رضاها بالزواج في هذه الحالة ، كما أنه لا توجد أية سلطة للزوج على تصرفات زوجته في أموالها .

الذمة المالية للمرأة:

والذمة المالية يمكن تصورها بوعاء تصب فيه الحقوق والالتزامات إلى الشخص؛ فتنعكس عليها الآثار القانونية لمعاملاته ، فتشمل في الجانب الإيجابي جميع الحقوق ذات القيمة المالية التي يملكها الشخص ، وفي الجانب السلبي التزامات الشخص ذات القيمة المالية .

ولما كان المركز المالي للإنسان في تغير مستمر حسب معاملاته ، فمن الطبيعي أن العناصر المكونة للذمة المالية في تغير مستمر ، ومع ذلك تبقى الذمة المالية لاصقة بالشخص منذ بدء شخصيته حتى نهايتها ، والذي ينتقل من شخص إلى آخر هو عناصر هذه الذمة

وليست الذمة ذاتها ، فقد لا يملك الشخص أيّ مال ومع ذلك تكون له ذمة مالية .

مميزاتها:

- ١- أن الإسلام أعطى المرأة كامل استقلالها في هذا المجال ، فلكل شخص في الإسلام ذمة مالية مستقلة عن غيره من الأشخاص ، ولو لم يكن له أي حق أو عليه أي واجب ، فالطفل بمجرد ميلاده تكون له ذمة مالية ولو لم يكن قد اكتسب بعد أي حق ، والمفلس له أيضًا ذمة مالية بالرغم من أنه سلم لدائنيه كل أمواله ؛ فالذمة تظل موجودة ما دامت الشخصية باقية وقادرة على اكتساب الحقوق والالتزام بالواجبات ذات القيمة المالية ، وهذه هي الذمة .
- ٢- لا تكون الذمة إلا لذوي الشخصية القانونية ، فالشخص القانوني هو وحده دون غيره من الكائنات الذي يصلح للتمتع بالحقوق والالتزام بالواجبات .
- ٣- الذمة المالية لا تتعدد ، فالذمة ما هي إلا الشخصية منظور إليها من الناحية المالية كما تقدم ، فليس من المعقول أن تتعدد بالنسبة للشخص الواحد .

٤- تبقى الذمة المالية للإنسان ما دام حيًّا حتى ولو تصرف في جميع أمواله؛ لأنه على الرغم من ذلك سيظل صالحاً لاكتساب الحقوق وتحمل الواجبات .

وما دامت الذمة المالية ناحية من نواحي الشخصية ؛ فإنها تنقضي بوفاة الشخص.

ومما لا شك فيه أن المرأة قد حصلت على جميع حقوقها التي كفلها الإسلام لها بما لا يتصور في أرقى التشريعات المعاصرة ، فقد كانت تشارك في الأحداث العامة ولعل موقف السيدة أم سلمة (رضي الله عنها) في صلح الحديبية هو خير شاهد على ذلك ، وفي دراسة مطولة حملت عنواناً واضحاً في كتاب نشر عن النبي محمد ﷺ للأستاذة "كارين أرمسترونج" أوضحت فيها بجلاء الدور السياسي للمرأة في الإسلام ، وركزت - كمن يرسم صورة مركزة الألوان والأبعاد - على لقطات من هذا الدور السياسي ، لعل أوضحه ما قامت به السيدة أم سلمة أم المؤمنين يوم الحديبية .

كما كانت تشارك في التجارة ؛ بل وفي الحرب ، وفي كافة شئون

الحياة ، بما يدل على شخصية المرأة المستقلة في الإسلام وترسيخ
الإسلام لشخصيتها القانونية المتميزة ودعمه لحقوقها الإنسانية
الأصيلة.

* * *

مكانة المرأة في الدولة الوطنية (*)

من الأهمية بمكان أن تتوفر للدول كافة المقومات والخطط الخاصة بمساعي الشعوب نحو تطوير مجتمعاتها وأبنائها، ولا شك أن للمرأة أهمية كبيرة ودورًا فعّالًا في بناء الدولة الوطنية الحديثة، ومن المعلوم بالضرورة أيضًا أن شعور الدولة بأهمية المرأة تختلف من مجتمع لآخر ومن وقت لآخر وفق المستوى الثقافي والاجتماعي والسياسي لكل دولة.

ولما كانت الدول في أمسّ الحاجة إلى تحقيق أهداف التنمية التي ترقى بالمجتمعات وترفع من شأن أبنائها ؛ فإنه لا يمكن أن نغض الطرف عن دور المرأة المهم في تحقيق هذه التنمية ، ودورها العظيم في الحياة العلمية ، والثقافية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والتربوية ، والصحية ، على قدم المساواة مع الرجل ، فهي شريك أصيل معه في صناعة مجتمع متقدم ومتطور، وهذه هي مكانتها في الدولة الوطنية،

(*) أ.د./ محمد إبراهيم الحفناوي ، أستاذ بكلية الشريعة والقانون ، جامعة الأزهر ، طنطا.

ومن رأى في المرأة غير هذا فهو كما قال الشاعر:
وما ضر الورود وما عليها إذا المزكوم لم يطعم شذاها
وقال آخر:

ما يضير البحر أمسى زاخرًا أن رمى فيه غلام بحجر

مكانة المرأة العلمية:

لقد احتلَّت مكانة المرأة العلمية في الدولة الوطنية مكانة مرموقة ، حيث تعلمت العلم في المدارس والجامعات وعلمته ، فجلس أمامها الذكور والإناث جلسة مملوءة بالاحترام لتلقي العلم منها ، بل أقول : إن من النساء من فاق الرجال في هذا المجال ، حتى إنك تجدها ماهرة في كل العلوم الطبية والنفسية والثقافية والعلمية.

وعلى الرغم من هذه المنزلة العلمية التي تبوأتها المرأة إلا أننا - للأسف - نجد من يجارب تعليمها وتثقيفها ، ولو نظر هؤلاء إلى التاريخ الإسلامي نظرة خالية من التعصب لأدركوا بأنفسهم مدى علو كعب المرأة في الجانب العلمي ، حتى إن كثيرًا من الرجال

تلقوا العلم على يد نساء فضليات عالمات ، ألم يتعلم الصحابة (رضي الله عنهم) من السيدة عائشة (رضي الله عنها)، كما كان الإمام الشافعي يفخر بأنه تلقى العلم من السيدة نفيسة (رضي الله عنها)، وكان من شيوخ ابن القيم امرأة اسمها فاطمة بنت جوهر ، ومن شيوخ التاج السبكي السيدة زينب بنت الكمال ، وقد ذكر الحافظ الذهبي في (تاريخه) ثمانية وثمانين اسماً لنساء عالمات ، وفي (تقريب التهذيب) ذكر ابن حجر ثلاثمائة امرأة محدثة في عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم من رواة الكتب الستة ، وممن أخذ عنهم السيوطي الحديث تسع نسوة ذكرهن الأستاذ الدكتور/ مصطفى الشكعة في كتابه (جلال الدين السيوطي)، إن هذا كله وغيره كثير لخير شاهد على أن ما وصلت إليه المرأة من مكانة في الدولة الوطنية يؤيده الشرع تأييداً كاملاً ومحض عليه.

المناصب القضائية والسياسية:

إن الدولة الوطنية أعلنت من شأن المرأة وقدرها ، بل أقول : إنها طبقت ما نصت عليه الشريعة الإسلامية ؛ حيث إن الأصل في

التكليف بالأحكام الشرعية أن تتساوى فيها المرأة بالرجل إلا ما ثبت -نصًا- اختصاص أحدهما بحكم معين ، وقد كان أول تكليف إلهي لآدم (عليه السلام) موجَّهًا للرجل والمرأة على قدم المساواة ، قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

ولا يوجد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية الصحيحة - فيما نعلم - نصًا يمنع المرأة من تولي المناصب القيادية والسياسية ، بل إن الفقه الإسلامي يبيح لها أن تكون (وكيلة) عن فرد أو مجموعة أفراد، كما أن إبداء المرأة لرأيها في الأمور العامة والخاصة واجب عليها كالرجل ، شأنه في ذلك شأن الحريات جميعها حيث ينظمها قانون الدولة ودستورها ، وشأن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما عضوية المجالس النيابية في حقيقتها إلا وسيلة لهذا التعبير، وما قد يُتوهم من حديث: "لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمَرَهُمْ

(١) البقرة، الآية: ٣٥.

امرأة^(١)، هو كلام يعبر عن حالة خاصة وليس مطلقاً ، وإلا فإن القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة قد تحدثا عن المرأة بما يوفيهما حقها في هذا المجال وغيره من المساهمة في أعمال الخير العام والخاص ، ومن ثمّ كان أمر هذا الحديث متعلقاً بشأن معين وقضية معينة لا عموم لها، ولهذا لا يصح تعميم الاستدلال بها. كما أن قضية تولى المرأة القضاء ونحوه مسألة من مسائل المعاملات وليست من العبادات ، وإذا كانت العبادات توقيفية تلتزم من النصوص الشرعية فإن المعاملات تحكمها المقاصد الشرعية والموازنة بين المصالح والمفاسد ، ويكفي في المعاملات أن لا تخالف نصّاً شرعياً.

المرأة والجندية:

ومن حق المرأة في ظل الدولة الوطنية أن تمارس دورها في مجال الدفاع عن الدولة وحماتها ، وهو ما أكدته الشريعة الإسلامية ، حيث

(١) صحيح البخاري، كتاب المغازي ، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر،

حديث رقم : ٤٤٢٥ .

إن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في مجال المهام الدفاعية شاملة للرجال والنساء ، وما ورد في فضل الرباط في سبيل الله (عز وجل) والشهادة والإنفاق ونحو ذلك موجه للرجال والنساء ، وقد فهم المسلمون الأوائل - ذكورًا وإناثًا - أنهم جميعًا مخاطبون بهذا المعنى، والمتبع لوقائع نزول الأحكام الشرعية وتطبيقاتها في حياة الصحابة يجد موقع المرأة فيها واضحًا في أغلب الأحداث ، ويكفينا دليلًا على ذلك أن من أول الشهداء في الإسلام سمية زوج ياسر وأم عمار (رضي الله عنهم جميعًا).

وقد قرر علماء الأصول : أن الإناث يدخلن في الخطاب الشرعي الوارد في اللفظ المذكور ما لم يرد تخصيص ، كما أن الأمة الإسلامية - ذكورًا وإناثًا - داخلة في الخطاب الشرعي للنبي ﷺ، ومن يتأمل قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾^(١)، يجد أن

(١) آل عمران، من الآية: ١٩٥.

التكليف بتلك الأعمال الدفاعية والعامّة مما يعم الرجل والمرأة ،
وقد شاركت المرأة المسلمة زمن النبي ﷺ في كثير من المعارك دفاعاً
عن الدولة ، وأبلى بلاءً حسناً ، سطرته لها كتب السيرة والتاريخ ،
وهو معلوم لدى الكافة ومعروف للباحثين والدارسين .

وقد جاءت الروايات في السنة النبوية دالة على جواز خروج
المرأة إلى ساحات القتال ، فقد روي أن أم سليم (رضي الله عنها)
عندما سئلت عن أداة دفاعها قالت : اتخذتها إن دنا مني أحد من
المشركين دافعت بها عن نفسي ، ورددت بها من يشرع في قتلي ،
وروي أن أم عمارة (رضي الله عنها) قالت : لما انهزم المسلمون في
أحد انحزت إلى رسول الله ﷺ ، فقامت أباشر الدفاع عنه بالسيف ،
وأرمي عنه بالقوس .

إن المؤسسة العسكرية المعاصرة تشتمل على أجنحة كثيرة
وأجهزة متعددة، وللمرأة أثر بارز ومهم في تفعيل هذه المؤسسة ، كما
أن للمرأة مساهمة فعّالة في الأعمال الدفاعية ، وبخاصة بعد أن أصبح
القتال اليوم بمنجزات العلم وبأسلحة وأساليب لا تكلف جهداً

جسدياً مضميناً كما كان في الماضي ، وتتفوق المرأة في تحصيلها على نحو يفوق الرجل أو يساويه ، وإذا كان الإسلام قد أمر بالعلم ودعا إلى المعرفة بكل أنواعها ، فإن الآيات التي تحث على العلم في القرآن الكريم تشمل الذكر والأنثى ؛ لذلك فالمرأة مثل الرجل في تعلّم كل العلوم ، ومنها: العلوم العسكرية بتفريعاتها العلمية التي يتساوى الجميع في تحصيلها ذكوراً وإناثاً.

أهمية المرأة في المجال الاقتصادي:

إن الدولة الوطنية تعطي للمرأة دوراً مهماً في المجالات الاقتصادية ، حيث إن لها القدرة على النجاح والتقدم في صناعة القرارات الاقتصادية واتخاذ إجراءات بشأنها ، والواقع الذي نعيش فيه يشهد بنمو المرأة في المجال الاقتصادي والتخطيط ، وبشخصيتها الاقتصادية المتميزة ، وهو ما أقره لها الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ؛ حيث تتمتع في الإسلام بشخصيتها الاقتصادية المستقلة ، وحقها الكامل في التصرف في أموالها كالرجل سواء بسواء ، وكذلك لها أن تبيع وتتاجر وتعقد الصفقات ، وما من شك في أن المرأة لها دور كبير ومهم في تحسين الوضع الاقتصادي لأي مجتمع.

أهمية المرأة في المجال التربوي:

المرأة هي أساس نهضة أيّ مجتمع ، فهي التي تقدّم النواة الأولى لقيام المجتمعات القوية المتناسكة من خلال دورها في تربية وتنشئة الأبناء ، وتوجيه ومساعدة الزوج في أعماله ، ومن ثمّ تحتل المرأة في الدولة الوطنية مكانة مهمة وأساسية في التربية، فالجميع يدرك أن التربية ضرورة ومطلب ملح أيّما كان منطلقه وفلسفته التربوية ، والمجتمعات كلها تنادي اليوم بأهمية دور المرأة التربوية للنشء.

إن الأسرة هي الدائرة الأولى في التنشئة الاجتماعية الصحيحة، وهي التي تغرس لدى الطفل القيم والمعايير التي يحكم من خلالها على ما يتلقاه خارج الأسرة، فهو حينما يغدو إلى مدرسته ينظر إلى أستاذه من خلال ما تلقاه في البيت من تربية واحترام وإجلال له، وهو يختار زملاءه في المدرسة من خلال ما نشأته عليه أسرته، ويقيّم ما يسمع وما يرى من مواقف تقابله في الحياة من خلال ما غرسه فيه أبواه.

وإذا كان دور الأسرة وأهميتها وخطورها في الميدان التربوي عظيمًا، فما من شك أن للمرأة دورًا تربويًا وأهمية بالغة في التربية وبناء

المجتمع، وهي الأساس الأول لتربية الأبناء وإعدادهم، ومنحهم الحب والحنان والرعاية والتربية الصالحة ، وتأهيلهم للحياة ، وتكوينهم تكويناً تربوياً سليماً روحياً وخلقياً وعلمياً ينفع أنفسهم ووطنهم ، وتهيئة الجو الصالح والظروف الملائمة لهم ، وتنمية الاستعدادات الذاتية الفطرية عندهم ، وغرس العقيدة الصحيحة فيهم.

وتتبوأ المرأة في الإسلام مكانة عالية في الأسرة وفي المجتمع ، وقد أوضح الإسلام بكل جلاء دور المرأة وأهميتها ورسالتها بخصائص خلقية وفوارق طبيعية ، فهي تقوم بأعظم المهام وأجلّ الرسالات ، ألا وهي: إعداد النشء للحياة ، وترسيخ المفاهيم الدينية والتربوية، وتخرج أجيال تحمل الأعباء وتقوم بالمسؤوليات تجاه الوطن وحمائته، ومن أهم الصفات التي يجب أن تتحلى بها المرأة في المجال التربوي: القدوة الحسنة ، والعدل ، والحكمة ، والصبر والحلم، والرحمة والحب، وقد حباها الله (عز وجل) بالطبع والخلقة ما يساعدها على النجاح في تلك المهمة.

وختامًا.. فإن الشارع الحكيم أكرم المرأة كرمًا عظيمًا، وأثبت لها من الحقوق والواجبات في الدولة الوطنية ما تستحقه على قدم المساواة مع الرجال منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان ، وما من شك في أن مكانة المرأة في الدولة الوطنية عظيمة لما لها من أدوار بارزة ومتميزة في النهوض بالدولة وتنميتها والدفاع عنها.

* * *

دور المرأة ومكانتها في الدولة الوطنية (*)

المرأة هي القوة التي تُحرك المجتمع بأسره؛ فهي قادرة على لعب جميع الأدوار في المجتمع الواحد؛ حيث يُمكن للمرأة أن تؤدي جميع المهام في شتى المجالات، مثل: الصناعة، والزراعة، والاقتصاد، والسياسة، والتجارة، والتعليم، والصحة، والإعلام، والهندسة، هذا بالإضافة إلى الحِرَف المختلفة التي تُتقنها المرأة، ولا يُمكن لأحد أن يُحقر من دورها؛ فهي لا ينقصها شيء، وتتميز بالعقل الراجح، وحسن التصرف في جميع المواقف التي تطرأ عليها^(١).

كما أن المرأة هي العامل الأساسي في عملية التربية؛ فهي الأم، ومن خلالها يتعلم الفرد جميع الأخلاق والعادات التي يتعامل بها مع المحيطين به؛ الأمر الذي يجعلنا نستنتج أن المرأة هي التي تُربي المجتمع البشري بأسره، ومكانة المرأة في المجتمع الحديث ازدادت

(*) أ/ وفاء عبد السلام عبد السلام، الواعظة بوزارة الأوقاف المصرية.

(١) مكانة المرأة في المجتمع المعاصر، يارا مجدي، مقال منشور على موقع الموسوعة العربية الشاملة، ١٣/١١/٢٠١٩م.

قيمة وأهمية بعد تمكنها من الحصول على حقوقها التي تتعلق بحرية التصرف في جميع أمور حياتها، إلى أن تمكنت من الوصول إلى جميع المناصب المهمة في العالم، الأمر الذي يُمكنها من اتخاذ العديد من القرارات المهمة التي تتعلق بها مصير الشعوب المختلفة ، هذا بالإضافة إلى دورها الثقافي المهم الذي قامت به على مر العصور، وما زالت قائمة عليه حتى الآن ؛ فتمكنت المرأة من الوصول إلى جميع المنصات الثقافية في العالم ؛ فيمكنها نشر الثقافة القوية في المجتمع من خلال الكتب، والتلفاز ، والإذاعة ، ووسائل الإعلام المختلفة الأخرى ، وخاصة وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة؛ حيث أصبح الأمر أسهل بدرجة كبيرة مما سبق^(١).

وإذا أبحرنا في إنجازات المرأة في العالم ، نلاحظ نماذج كثيرة لنساء تحدّين الصعاب ونجحن في مجالاتهن، ومنهن "الأم تريزا" التي نالت جائزة نوبل للعمل الخيري في العالم ، و"فالتينا ترشكوف" رائدة

(١) مكانة المرأة في المجتمع المعاصر، يارا مجدي ، مقال منشور على موقع الموسوعة العربية الشاملة، ١٣/١١/٢٠١٩م.

الفضاء الروسية التي صعدت إلى القمر، و"ماري كوري" عالمة الفيزياء التي نالت جائزة نوبل في الفيزياء ، هؤلاء هن نساءً عظيمات خضن غمار الحياة بقوة وحفرن في الصخر حتى تمكنّ من إيجاد أنفسهن.

مكانة المرأة المصرية:

ولم تكن المرأة المصرية بعيدة عن المشهد ولا عن الدور المتميز الذي قامت به المرأة في المجتمع المعاصر، حيث تعيش المرأة المصرية عصرًا ذهبيًا منذ تولي الرئيس / عبد الفتاح السيسي رئاسة البلاد ، إذ إنه كان حريصًا من أول يوم على تمكين المرأة في شتى المجالات ، إلى جانب أنه أظهر اهتمامًا خاصًا يليق بها وبمكانتها في المجتمع وذلك في أكثر من مناسبة ، إذ لا يخلو حديث للرئيس دون تقدير لمكانة المرأة ودورها ، ومن ذلك تأكيده على أن تمكين المرأة هو كلمة السر وراء بناء الحضارات القوية التي يشار إليها بالبنان ، وواجبنا المخلص تجاه شعوبنا يحتم علينا منح المرأة الفرصة الكاملة للمشاركة في كل المجالات.

وقد كانت البداية في عام ٢٠١٧م حين أعلن سيادة الرئيس/ عبد الفتاح السيسي أن ذلك العام هو عام المرأة المصرية ، الأمر الذي يعد سابقة لم تحدث في تاريخ الدولة المصرية ، مع إطلاق الاستراتيجية الوطنية لتمكين المرأة المصرية عام ٢٠٣٠م ، وبذلك أصبحت مصر هي أول دولة في العالم تطلق هذه الاستراتيجية بما يتوافق مع أهداف التنمية المستدامة ، ومع إطلاق العديد من المبادرات التي تصب في صالحها ؛ مما يؤكد إيمان الدولة بالدور الرائد للمرأة المصرية في النهوض بالمجتمع .

وتتضح مكانة المرأة في الدولة المصرية في التمثيل القوي للمرأة في البرلمان ومجلس الوزراء حيث وصل إلى ٢٥٪ ، كما اعتلت المرأة المصرية منصة القضاء وتقلدت العديد من المناصب المهمة، من بينها: محافظ الإقليم ، ومستشار الأمن القومي ، وتقلدت المرأة المصرية العديد من المناصب في عهد الرئيس/ عبد الفتاح السيسي ، حيث بلغ عدد الوزارات ولأول مرة ٨ وزيرات ، وتم تعيين أول مستشارة للأمن القومي لرئيس الجمهورية بعد غياب أربعين عامًا

وتعيين محافظات ونائبات للمحافظ ، ووصلت المرأة إلى التعيين في هيئة النيابة الإدارية ، ووكالة لمحافظ البنك المركزي للرقابة والإشراف على البنوك وقطاع مكتب المحافظ ، كما ارتفع عدد القاضيات المصريات من النساء خلال السنوات الماضية ، وبلغت نسبة تمثيل المرأة بالسلك الدبلوماسي ٨,٢٤٪، وتم تعيين المرأة من ذوي الاحتياجات الخاصة والمرأة الريفية في المجلس القومي للمرأة عام ٢٠١٦ م ، كما تم زيادة نسبة تمثيل المرأة بالوظائف الحكومية ٤٥٪ .

وعلى صعيد القوانين تم إقرار مشروع قانون تجريم الزواج المبكر للفتيات ، وتعديل قانون العقوبات بتغليظ عقوبة ختان الإناث في عام ٢٠٢١ م ، وتغليظ عقوبة التحرش وتجريم التنمر، وتعديل قوانين من بينها تجريم الحرمان من الميراث.

ويظل صمود المرأة المصرية وقدرتها على الإبداع والتميز شيئاً يدعو للفخر والاعتزاز ، فالمرأة المصرية ما زالت تمتلك الروح الملكية التي تجسدت في قلب أعظم ملكات العصر الفرعوني حتشبسوت،

ونفرتيتي ، ونفرتاري ، والملكة ميريت نيت وهي أول ملكة في تاريخ العالم اعتلت عرش البلاد وتنتمي للأسرة الأولى ، فدائماً المرأة المصرية لديها فكر وشخصية جديرة بالاحترام وقادرة على النجاح في سباقات النجاح والإبداع والريادة ، بالإضافة إلى أنها سباقة بالتميز .

المرأة واعظة:

لقد أدركت وزارة الأوقاف المصرية قيمة المرأة في العمل الدعوي فعينت عام ٢٠٠٥م خمسين مرشدة في الدعوة الإسلامية، ثم تطلب الواقع المعاصر زيادة عدد النساء الداعيات في الوزارة؛ فكان القرار الشجاع من معالي وزير الأوقاف أ.د/ محمد مختار جمعة (منذ توليه الوزارة) لفتح باب الاشتغال بالعمل الدعوي لمن شاءت بعد اجتياز اختبارات عدة ، ودورات تدريبية متلاحقة ، ليؤكد إيمانه بدورهن الكبير في تجديد الخطاب الديني ، وبيان الحقيقة السمحة للإسلام ، ومحاربة الفكر المتطرف ، مؤكداً على أهمية مشاركة العاملات بمجال الدعوة في القوافل الدينية التي تجوب محافظات مصرنا الحبيبة ، لاسيما في المناطق النائية.

ولقد كان إعلان السيد الرئيس/ عبد الفتاح السيسي (رئيس الجمهورية) عام ٢٠١٧م عامًا للمرأة المصرية بادرة إيجابية ؛ تكشف عن تقدير الدولة المصرية الكبير للمرأة ودورها في بناء المجتمع وتنميته ، وأنها خط الدفاع الأول عن الأسرة المصرية من الفكر المتطرف والسلوك الإرهابي ، وأنه إذا استطاعت الأم تحقيق السلام داخل الأسرة فستحقق السلام الخارجي في المجتمع كله ، وإذا كانت المرأة هي نصف المجتمع فإنها تربي النصف الآخر، أي أن المرأة هي المسؤولة عن المجتمع ككل ؛ لذا حرصت وزارة الأوقاف المصرية على تأهيل الواعظات تأهيلاً يناسب احتياجات المجتمع والمرحلة التي نعيشها ؛ إيماناً من الوزارة بأنَّ تصدُّر من يدعي العلم وهو في الحقيقة جاهل يُوقع الفتنة والخلاف في الدين ، ويصيب المجتمع بالفرقة، قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ أَنْتِزَاعًا يَتَّزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا ، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا"^(١)، فالاختلاف المؤدي للخلاف والفرقة لا يصدر

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم ، باب كيف يقبض العلم، حديث رقم: ١٠٠.

أبدًا من العلماء الراسخين في العلم، حيث أنه يلقي العداوة بين الناس، إذ يعتقد الإنسان في نفسه أنه من أهل العلم والاجتهاد في الدين، فيعمل على ذلك ويعد رأيه رأيًا وخلافه خلافًا.

لذا قامت وزارة الأوقاف بإعداد خطة لتأهيل الواعظات، وبإلحاق المتميزات منهن بأكاديمية الأوقاف الدولية لتخريج واعظة عصرية، مستنيرة، واعية بمتطلبات العصر ومستجداته، وقد تخرج بالفعل حتى الآن ثلاث دفعات من الأكاديمية، بالإضافة إلى إعطائهن دورات تدريبية متخصصة على يد مجموعة من العلماء الأجلاء في علم الموارث، وفي فقه المقاصد، واللغة الإنجليزية، والأحوال الشخصية وغير ذلك من العلوم الشرعية، وقد شارك في الملتقى الفكري الإسلامي الثقافي تحت رعاية معالي وزير الأوقاف الأستاذ الدكتور/ محمد مختار جمعة، ويشارك أيضًا كل عام بورقة عمل في المؤتمر الدولي للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، كما أعدت الوزارة لهن دورات تثقيفية في معسكر أبي بكر الصديق بالإسكندرية، وكذلك دورات تدريبية - بإشراف من وزارة الأوقاف المصرية - من المجلس القومي

للمرأة ، ووزارة الهجرة ، ووزارة الصحة ، وعدد من الهيئات بعد توقيع بروتوكولات معهم ، كما حصلن على دورة تنمية المهارات الإعلامية من جامعة القاهرة ديسمبر ٢٠١٩م، وقام معالي وزير الأوقاف بعمل محاضرات علمية مرئية بعنوان (لقاء خاص) استطاعت واعظات الأوقاف أن ينهلن فيه من علمه خلال هذه المحاضرات .

وكان للواعظات دور في العمل الدعوي الجاد خارج مصر لأول مرة في تاريخ الوزارة ، حيث تم فتح المجال لمشاركة الواعظات في مرافقة بعثة الحج ، وقام معالي الوزير بالدفع بعدد تسع واعظات لمرافقة بعثة الحج عام ١٤٤٠هـ بعد تدريبهن وتأهيلهن لتوعية السيدات ، وشرح المناسك ، وإلقاء محاضرات للنساء في مقار الإقامة ، كما تم إرسال عدد ست واعظات إلى السودان في مطلع العام الماضي لنشر سماحة الإسلام ، والقيم الأخلاقية ، والإيمان بالتنوع والتعددية وقبول الآخر ، وترسيخ أسس المواطنة المتكاملة والتعايش السلمي بين الناس جميعاً ، وذلك من خلال لقاءات ومحاضرات للنساء في السودان.

ولم يقتصر الأمر على العمل الدعوي في المساجد ، أو إلقاء محاضرات وعظ للنساء عن بعد ، بل تعدى إلى مشاركتهن في مبادرات لخدمة المجتمع ؛ كمبادرة سكن ومودة ، ومبادرة حق الطفل ، وأيضاً مبادرات توعوية من خلال البروتوكول الموقع بين الوزارة وكل من الهيئة الإنجيلية والمجلس القومي للمرأة ، بالمشاركة مع شركاء الوطن من مكرسات وخادمات الكنيسة.

وختاماً.. فإن المرأة نصف المجتمع ، وتكوّن شخصية النصف الثاني منه ، فهي البنت ، والزوجة ، والأم ، والمعلمة ، والضمان الحقيقي لحماية المجتمع من الفكر المتطرف ولتنشئة أبنائه على حب الوطن ، فالمرأة هي خط الدفاع الأول لحماية الوطن ، وقد أظهرت قدرتها على الاهتمام بالقضايا التي تمس الأمن القومي ، وقدرتها على المشاركة في التنمية ودحر الإرهاب لتقدم للمجتمع عضواً صالحاً نافعاً ، صحيح العبادة ، قوي البدن ، صحيح النفس ، واسع العلم والثقافة ، ومن خلالها إما أن يتقدم المجتمع أو يندحر ، وإما أن تقوم الحضارات أو تندثر .

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
*	تقديم. أ.د/ محمد مختار جمعة ، وزير الأوقاف ، رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.	٥
.١	المرأة بين إنصاف الإسلام وشبهات الآخر. أ.د/ علي جمعة محمد ، مفتي الجمهورية السابق.	٩
.٢	تكريم الإسلام للمرأة . أ.د/ سعاد إبراهيم صالح ، الأستاذ بجامعة الأزهر.	٢٣
.٣	منهج الإسلام في الزواج وهديه في الطلاق. أ.د/ محمد بن أحمد الصالح ، أستاذ الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود .	٤٠

الصفحة	الموضوع	م
٥٢	نساء مصريات . أ.د/ محمد مختار جمعة، وزير الأوقاف ، رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.	.٤
٦٢	الشخصية القانونية للمرأة وتفعيل دورها في الدولة الوطنية. أ.د/ فوزية العشماوي ، أستاذة الحضارة الإسلامية ، جامعة جنيف ، سويسرا.	.٥
٨٥	المسئولية القانونية للمرأة وأهلية الأداء. أ.د/ جعفر عبد السلام (رحمه الله) ، أستاذ القانون الدولي ، والأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية سابقاً.	.٦
٩٥	مكانة المرأة في الدولة الوطنية. أ.د/ محمد إبراهيم الحفناوي ، الأستاذ بكلية الشريعة والقانون ، جامعة الأزهر، طنطا.	.٧

الصفحة	الموضوع	م
١٠٦	دور المرأة ومكانتها في الدولة الوطنية . أ/ وفاء عبد السلام، الواعظة بوزارة الأوقاف المصرية .	.٨
١١٦	فهرس الموضوعات.	*

* * *



الناشر / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رقم الإيداع :

الترقيم الدولي: